سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

www.souriatnapress.net

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com

تصدر من دمشق

سوريتنا | السنة الثالثة | العدد (117) | 15 / 12 /2013

أسبوعية تصدر عن شباب سوري مستقل

نحن أحياء وباقون..
وللحلم بقية..

أحد مخيمات اللاجئين السوريين في ديار بكر | تركيا

أكثر من 12 طفلاً ماتوا من البرد في مناطق عدة والعدد مرشح للزيادة

■ ملف الإخبار من إعداد: زليخة سالم

أكثر من ستة أشهر والتحذيرات تتصاعد من شتاء قارس ستشهده المنطقة، والمنظمات تطالب بزيادة الدعم الدولي لحماية اللاجئين، إلا أن شيئاً لم يتغير عن العام الماضي سوى البكائيات والخطابات والتحذيرات وازدياد عدد اللاجئين.

عشرة أطفال ماتوا من البرد في عرسال وتلكلخ ودرعا وحلب وغيرها من المناطق، والعدد مرشح طبعاً للزيادة أمام استمرار موجة الصقيع، وأمام الجهود الضعيفة التي تبذل لحماية اللاجئين، على الرغم من أن المفوضية السامية لشؤون اللاجئين أعربت عن قلقها البالغ حول أوضاع كثير من اللاجئين في لبنان الذين يعيشون في مساكن مؤقتة، لأن منازلهم هشة ودون المستوى المطلوب، حيث ازداد عدد اللاجئين في لبنان بنسبة خمسة أضعاف خلال العام الماضي.

وقال أمين عوض، مدير مكتب الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في المفوضية: بالنسبة لمئات الآلاف من اللاجئين في لبنان، فضلاً عن الموجودين في البلدان المجاورة والنازحين داخل سوريا، فإن عاصفة مثل هذه سوف تتسبب في مصاعب ومعاناة إضافية هائلة، وبمساعدة لبنان نبذل كل ما بوسعنا للحصول على مساعدة إضافية عاجلة للأشخاص الذين هم بأشد الحاجة إليها، وهذا الأمر على رأس التحضيرات الخاصة بفصل الشتاء التي نقوم بها على مدى الأشهر الماضية.

وحسب المفوضية: يعيش في مختلف أنحاء لبنان أكثر من 838 ألف لاجئ بما في ذلك 120 ألفاً يعيشون في خيام مهلهلة بدأوا فجأة بمواجهة طقس بارد وأمطار وثلوج على المرتفعات وذلك مع اقتراب عاصفة ثلجية تدعى "اليكسا" نحو منطقة الشرق الأوسط، يطال تأثيرها لبنان وسوريا وتركيا والأردن

وتمكنت كل من المفوضية وشركائها من المنظمات غير الحكومية يوم الثلاثاء الماضي بدعم من الجيش اللبناني من تسريع توزيع مجموعات إضافية من لوازم المأوى الطارئ – بما في على الآلاف من اللاجئين الذين يعيشون في خيام في منطقة البقاع شرق لبنان، وهي المنطقة الأكثر تضرراً حتى الآن بفعل العاصفة، وقد واصلت فرق الطوارئ يوم الأربعاء عملها على

الرغم من الطرق المسدودة نتيجة للأحوال الجوية، وقد تسلم نحو 125 ألف لاجئ يعيشون في البقاع مستلزمات الشتاء فيما سيتم الوصول في الأيام المقبلة إلى 55 ألف لاجئ آخر. وقامت الوكالات الإنسانية العاملة في جميع أنحاء لبنان حتى الآن بتوزيع 255 ألف بطانية وأكثر من موقد خلال الأشهر الماضية. كما تم توزيع حوالي 45 ألف بطاقة صراف آلي بقيمة 150 دولار أمريكي لكل من الأسر الضعيفة لشراء مواقد إضافية ووقود.

واعتباراً من يوم الأربعاء، تركزت الجهود على إيصال المساعدة لبعض المواقع الأكثر تضرراً في البقاع. وفي تركيا، وحالت الثلوج دون قيام الفرق الميدانية للمفوضية من زيارة مخيمات للاجئين حول كيليس يومها، والتي تسببت أيضاً بتعطيل الطرق في تلك المنطقة.

وقد بدأت المفوضية بتوزيع البطانيات الحرارية وغيرها من المواد وذلك اعتباراً من شهر تشرين الثاني، ووزعت حوالي 70 ألف قطعة من القماش المشمع لمساعدة اللاجئين على إعداد خيامهم وملاجئهم بشكل أفضل لفصل الشتاء في حين تلقى البعض مدافئ كهربائية أو تلك التي تعمل على الكيروسين. وهناك لاجئون آخرون يتلقون مساعدات نقدية لشراء المدافئ

ويقوم برنامج الأغذية العالمي وشركاؤه بتلبية الاحتياجات الغذائية للاجئين السوريين الذين وصلوا حديثاً إلى المناطق المتضررة من العاصفة في لبنان عن طريق توفير حصص غذائية تكفي لإطعام 150 ألف شخص، وفي أماكن أخرى من البلاد، يقوم برنامج الغذاء بتوفير المساعدات الغذائية لأكثر من 600 ألف لاجئ سوري مسجلين لدى المفوضية باستخدام قسائم غذائية إلكترونية

ويعتبر لبنان في الوقت الحاضر أكبر دولة مضيفة للاجئين السوريين في المنطقة، حيث يستضيف838، 189 لاجئ إما مسجلين كلاجئين أو بانتظار التسجيل.

التقرير النهائي لمفتشي الأمم المتحدة: تم استخدام أسلحة كيماوية بشكل أكيد خمس مرات في سوريا دون الإشارة إلى المسؤولين عن الهجمات

خلص التقرير النهائي لمفتشي الأمم المتحدة أنه تم استخدام أسلحة كيماوية، على الأرجح أو بشكل أكيد، خمس مرات من سبع هجمات تم التحقيق فيها في سورية، وأورد أدلة ومعلومات جديرة بالثقة ترجح إثبات استخدام أسلحة كيماوية في الغوطة قرب دمشق وخان العسل قرب حلب، وفي جوبر وسراقب وفي أشرفية صحنايا.

التقرير الذي نشر يوم الخميس الماضي اعتبر القرائن غير كافية بشأن منطقتي بحرية والشيخ مقصود في محافظة حلب، لم يشر إلى المسؤولين عن هذه الهجمات المحتملة بالأسلحة الكيماوية، لأن الأمر لا يدخل في صلب مهمة المفتشين كما ذكر.

وأكد التقرير ما جاء في التقرير الأولي للمفتشين الذي سُلم في 16 أيلول الماضي إلى الأمم المتحدة، بالنسبة لمجزرة الأسلحة الكيماوية التي ارتكبتها بحسب الغربيين، القوات النظامية بتاريخ 21 آب، وجمعت البعثة أدلة دامغة ومقنعة حول استعمال أسلحة كيماوية ضد مدنيين، من بينهم أطفال، على نطاق واسع في غوطة دمشق في هذا التاريخ.

وجمعت بعثة الأمم المتحدة "معلومات جديرة بالثقة تؤكد اتهامات استعمال أسلحة كيماوية في 19 آذار 2013 ضد جنود ومدنيين، في ما يتعلق بخان العسل حيث تبادلت السلطة والمعارضة الاتهامات باستعمال أسلحة كيماوية.

وفي جوبر بالقرب من دمشق، عثر المفتشون على أدلة تتطابق مع استعمال محتمل لأسلحة كيماوية في 24 آب 2013 على نطاق ضعيف تقريباً ضد جنود، ومن دون أن تكون مع ذلك، أدلة رسمية في ظل غياب معلومات جديرة بالثقة حول نظام إطلاق هذه الأسلحة.

وفي سراقب أشارت "الأدلة التي جُمعت، إلى أن أسلحة كيماوية استُعملت في 24 آب على نطاق ضيق ضد مدنيين

في أشرفيه صحنايا دلت المؤشرات التي جُمعت، وهي عامة شهادات وبقايا ذخائر وعينات من التربة والدم، إلى استعمال أسلحة كيماوية بتاريخ 25 آب على نطاق ضيق ضد جنود ومن دون أن تشكل مع ذلك أدلة رسمية، بحسب مفتشي الأمم المتحدة.

وفي بحرية (22 آب) والشيخ مقصود (13 نيسان) لم يستطع المفتشون تأكيد الاتهامات حول استعمال أسلحة كيماوية. في بحرية، حيث كانت الاختبارات على عينات من الدم جمعتها الحكومة السورية سلبية.

ولاحظ التقرير الختامي لمحقق الأمم المتحدة آكي سيلستروم أنه في عدة حالات كان بين الضحايا جنود ومدنيون، ولكن لم يكن ممكنًا دائمًا إثبات أي صلات مباشرة على وجه اليقين بين الهجمات والضحايا والمواقع المزعومة للحوادث.

وقال الأمين العام للأمم المتحدة بأن كي مون الذي تسلم التقرير من رئيس فريق المفتشين ليرفعه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة، أن استعمال أسلحة كيماوية يشكل انتهاكاً خطيراً للقوانين الدولية، ويجب أن نبقى حذرين كي نتأكد من أن هذه الأسلحة الخطيرة قد أزيلت ليس فقط في سوريا، ولكن في أي مكان في العالم.

فولكر تورك: المرأة السورية سيكون لها دور رئيسي لتؤديه في مستقبل سوريا

رأى فولكر تورك، مدير إدارة الحماية الدولية بالمفوضية السامية لشؤون اللاجئين بأن المرأة السورية سيكون لها دور رئيسي لتؤديه في مستقبل سوريا، وعلى الرغم من الأهوال وانتهاكات حقوق الإنسان التي نجت منها في سوريا، لا يزال أمام المرأة اللاجئة دافع وعزيمة مدهشة على أن تكون جزءاً إيجابياً من صناعة مستقبل بلدها.

وقال تورك للمشاركين في مؤتمر المرأة الذي نظمته مؤسسة تومسون رويترز الأسبوع الماضي حول "حقوق المرأة في العالم العربي: وهل تحول الربيع إلى شتاء؟ أن ما يزيد عن 80 بالمائة من اللاجئين السوريين الذين يفوق عددهم 2. 2 مليون لاجئ من النساء والأطفال؛ وهي فئة ضعيفة جداً تواجه مخاطر حقيقية كالزواج المبكر وعمالة الأطفال والعزلة وانعدام سبل كسب العيش، ولقد دهشت تماماً عندما قابلت معلمة سورية فقدت زوجها، وتعول أطفالها الثلاثة عن طريق صنع الشمع وبيعه في مركز ناء للتسوق في لبنان. فوسط هذا البؤس، أسست عملاً تجارياً صغيراً، وكانت إيجابية على نحو مدهش. لقد رأيت فيها مستقبل سوريا.

وأكد تورك خلال حلقات النقاش أنه من الممكن إحراز تقدم على صعيد تمكين المرأة السورية اللاجئة بعدة طرق، بما في ذلك تشجيع مشاركتها الفعالة في الجهود الدولية لحماية مجتمعاتهن النازحة ومساعدتها، ودعم نمو فرق تمكين المرأة وأنشطتها في جميع أنحاء المنطقة، فضلاً عن برامج التعليم وسبل كسب العيش، ومن الضروري أيضاً الدعوة إلى القضاء على التمييز بين الجنسين في قوانين الجنسية وكذلك حماية حقوق الإنسان على نطاق أشمل.

وأعرب تورك عن رغبة المفوضية في عقد منتدى للنساء السوريات اللاجئات في دول الجوار حتى يلتقين ويشاركن بقصص تمكينهن أثناء النزوح، من خلال تبادل الخبرات وقصص الكفاح، التي سوف تعزز ثقتهن بأنفسهن وسوف تصبحن على المدى الطويل دعاة للتغيير، ليس في النزوح فقط ولكن عندما تتوفر الظروف الملائمة للعودة إلى سوريا أيضاً، حسب مقال منشور على صفحة المفوضية.

أوجاع وطن

المدافعون عن حقوق الإنسان تعتقلهم قوى الظلام في اليوم العالمي لحقوق الإنسان

نشطاء مركز توثيق الانتهاكات في سورية الذين دأبوا على الدفاع عن حقوق الإنسان ونشر صور المختطفين من النظام ومن القوى الظلامية داعش والنصرة وغيرها من الكتائب التابعة للنظام، هم أنفسهم تصدروا صور المختطفين من قبل عناصر مسلحة ملثمة في اليوم العالمي لحقوق الإنسان.

سوريتنا تدين اختطاف الناشطين رزان زيتونة، سميرة خليل، وائل حمادة، ناظم حمادة، بتاريخ 9 / 12 / 2013 بعد أن تعرضوا للعديد من التهديدات من قبل جهات تعتبر نفسها ثورية، وتطالب بالإفراج عنهم فوراً، وتعتبر أن مثل هذه التصرفات التي تكررت في الآونة الأخيرة ضد ناشطين وإعلاميين لا تصب إلا في مصلحة النظام وبإيعاز منه للقضاء على حاملي الثورة.

وجاء في بيان مشترك لمركز توثيق الانتهاكات في سوريا ومكتب التنمية المحلية ودعم المشاريع الصغيرة حول اختطاف الناشطين:

قامت مجموعة مسلحة مجهولة يوم الاثنين 9 / 12 / 2013 باختطاف الناشطة الحقوقية رزان زيتونة، وثلاثة من الناشطين وهم: الناشطة والمعتقلة السياسية السابقة سميرة الخليل، والناشط البارز وزوج رزان زيتونة وائل حمادة، والناشط والمحامي والشاعر ناظم حمادي، وذلك من مقر مكتب مركز توثيق الانتهاكات في سوريا ومكتب التنمية المحلية في مدينة دوما بريف دمشق «

بالإضافة لكون رزان زيتونة رمزاً من رموز الثورة السورية ضد الظلم والاستبداد وكونها من مؤسسي لجان التنسيق المحلية، ومركز توثيق الانتهاكات في سوريا، الذي يعمل على توثيق جرائم النظام السوري وانتهاكاته لحقوق الإنسان، فإنّ رزان ومن خلال كونها عضواً مؤسساً لمكتب التنمية المحلية ودعم المشاريع الصغيرة، عملت وتعمل على مساعدة الوطن، والغوطة الشرقية بشكل خاص، وذلك من خلال تأمين متطلبات الحياة وتوفير الخدمات الأساسية من دعم لمراكز طبية وإنتاجية وتنموية، ولا تخفى أهمية عملها هي وبقية الزملاء على أي من سكان الغوطة

أن اختطاف رزان زيتونة مع بقية الناشطين أن دلّ على شيء فإنّما يدل على رغبة البعض في تقويض العمل المدني الهادف لمساعدة السوريين في المناطق المحررة على تسيير أمورهم بأنفسهم وتأمين عيشهم الكريم

ودان مركز توثيق الانتهاكات في سوريا ومكتب التنمية المحلية ودعم المشاريع الصغيرة بشدة هذا الاختطاف، ودعوا الخاطفين إلى الإفراج عنهم مباشرة وبدون أي قيد أو شرط

وحمّلا جميع الألوية وكتائب الثورة المقاتلة الموجودة في المنطقة مسؤولية الحفاظ على أمن وسلامة الأهالي في الغوطة الشرقية، وبالتالي سلامة المحامية رزان زيتونة وجميع من تمّ خطفهم معها، وإعادتهم سالمين إلى بيوتهم وضمان عدم تكرار مثل هكذا حوادث في المستقبل

واختتم البيان بالقول: أن ثورة الكرامة والحرية تعيش من خلال هذا الحدث، مرحلة هامة وحرجة، ونأمل، كما عودتنا هذه الثورة، أن تتجاوز هذا الفخ المنصوب من أعدائها الذين يسعون مجدداً لانتقاص مصداقيتها وحرفها عن أهدافها.

منظمة العفو الدولية: على قادة أوروبا أن يحنوا رؤوسهم خجلاً إزاء العدد القليل المثير للأسف من النازحين من سوريا

قالت منظمة العفو الدولية: يتعين على قادة أوروبا أن يحنوا رؤوسهم خجلاً إزاء العدد القليل المثير للأسف من النازحين من سوريا الذين يستعد هؤلاء القادة لإعادة توطينهم في أوروبا.

وبدوره سليل شيتي الأمين العام لمنظمة العفو الدولية قال: أن الاتحاد الأوروبي قد تقاعس للأسف عن القيام بدوره في توفير ملاذ آمن للنازحين الذين فقدوا كل شيء ولم يبق لهم غير أرواحهم، فالعدد القليل من النازحين الذين يستعد الاتحاد الأوروبي لإعادة توطينهم في أوروبا يبعث على الرثاء حقاً، ويتعين على قادة أوروبا أن يحنوا رؤوسهم خجلاً

وأوضحت المنظمة في تقرير موجز لها صدر يوم الجمعة، أن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي لم تعرض فتح أبوابها إلا لعدد قليل يبلغ نحو 12 ألف نازح من سوريا من بين الفئات الأشد ضعفاً، ولا يمثل هذا العدد سوى نصف بالمئة من مجموع الذين فروا من سوريا، والبالغ عددهم نحو 2.3 مليون نسمة.

وجاء في التقرير: من الملاحظ أن نيقوسيا، عاصمة دولة قبرص وهي إحدى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، تقع على مسافة لا تزيد عن 200 ميل من العاصمة السورية دمشق، ومع ذلك فإن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بمجملها قد تعهدت بإعادة توطين نسبة قليلة للغاية من فئات النازحين السوريين الأشد ضعفاً.

ويفصّل تقرير منظمة العفو الدولية الأرقام على النحو التالي:

عرضت 10 دول فقط من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي توفير أماكن لإعادة توطين النازحين من سوريا، كانت ألمانيا هي الأكثر كرماً حتى الآن، حيث تعهدت بإعادة توطين 10 آلاف نازح، أي ما يعادل 80 بالمئة من مجموع النازحين الذين تعهد الاتحاد الأوروبي بإعادة توطينهم

و باقي الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وعددها 27 دولة، قد تعهدت باستضافة عدد لا يزيد عن 2340 نازح من سوريا.

عرضت فرنسا توفير أماكن لعدد لا يزيد عن 500 نازح، أي ما يعادل نحو 0.02 بالمئة من مجموع الذين فروا من سوريا.

وافقت إسبانيا على استضافة 30 نازحاً، أي ما يعادل 0.001 من مجموع النازحين من سوريا.

لم تعرض 18 دولة من دول الاتحاد الأوروبي، ومن بينها بريطانيا وإيطاليا، أية أماكن على الإطلاق لإعادة توطين النازحين.

وأشار التقرير إلى أن هناك عشرات الألوف من النازحين الذين يخاطرون بأرواحهم في رحلات تكتنفها مخاطر جمة عبر البحر أو البر بحثاً عن الأمان والحماية في أوروبا، وتبين البحوث التي أجرتها منظمة العفو الدولية أنه يتعين على أولئك النازحين أولاً النفاذ من خلال المتاريس العديدة في أوروبا الحصينة.

ويواجه كثير من النازحين عمليات عنيفة من جانب الشرطة وحرس الحدود لردهم على أعقابهم، أو قد يتعرضون للاحتجاز لأسابيع في أوضاع مزرية، في اثنتين من الدول التي تُعد من المداخل الأساسية إلى الاتحاد الأوروبي، وهما بلغاريا واليونان، حيث يواجه النازحون من سوريا معاملةً مزرية، بما في ذلك عمليات لرد النازحين على أعقابهم بشكل يهدد حياتهم على طول سواحل اليونان، والاحتجاز لأسابيع في ظروف بائسة في بلغاريا.

ووصف بعض النازحين لمنظمة العفو الدولية كيف تعرضوا لمعاملة سيئة على أيدي أفراد الشرطة أو حرس السواحل اليونانيين، الذين جردوا النازحين من متعلقاتهم ثم ردُّوهم في نهاية المطاف إلى تركيا، ولا يُعرف عدد العمليات غير القانونية لرد النازحين من اليونان، ولكن

المنظمة تعتقد أن مئات النازحين قد تضرروا من جرائها.

وحسب التقرير فقد وصل إلى بلغاريا حوالي خمسة آلاف نازح من سوريا خلال الفترة من كانون الثاني إلى تشرين الثاني 2013، ويُستضاف أغلب هؤلاء في مراكز الطوارئ، وأكبرها مركز يقع في بلدة هارمانلي، وهو مركز اعتقال مغلق، وقد وجدت المنظمة عدداً من النازحين يعيشون في ظروف مزرية، حيث يقيمون في حاويات، أو في بنايات مهدمة أو في خيام، وكان النازحون يفتقرون إلى المرافق الصحية الملائمة، كما كان هناك نقص في الطعام وفي الأماكن المخصصة للنوم وفي الدواء، وكان هناك عدد كبير من الأشخاص في حاجة لرعاية طبية، وبينهم بعض الذين أُصيبوا في سورية، بالإضافة إلى أشخاص يعانون من أمراض مزمنة وآخرين يعانون من مشاكل تتعلق بالصحة العقلية.

قال سليل شيتي: أن عشرات الآلاف يخاطرون بحياتهم في رحلات محفوفة بالمخاطر عبر البحر أو البر محاولين الوصول إلى أوروبا، وقد رأينا آلاف الأشخاص يلقون حتفهم في البحر الأبيض المتوسط، ومن المؤسف أن كثيرين ممن يخاطرون بأرواحهم للوصول إلى أوروبا يُجبرون على العودة أو يُعتقلون في ظروف مزرية، حيث لا يتوفر لهم ما يكفي من الطعام والمياه والرعاية الطبية.

وأضاف: أن العبارات المعسولة التي يتشدق بها قادة أوروبا لا تصمد في وجه الأدلة الدامغة. ومن ثم، ينبغي على دول الاتحاد الأوروبي أن تفتح حدودها أمام النازحين وأن توفر لهم المرور الآمن وأن تكف عن تلك الانتهاكات المؤسفة لحقوق الإنسان.

وذكرت المنظمة في تقريرها أنه لم يتمكن من دخول أوروبا وطلب اللجوء في دول الاتحاد الأوروبي سوى 55 ألف نازح سوري (أي حوالي 2.4 بالمئة من مجموع الذين فرُّوا من سوريا

وقد توجه كثيرون، من هؤلاء الذين نجحوا في النفاذ عبر متاريس "أوروبا الحصينة"، إلى

السويد أو ألمانيا، اللتين قدمتا أكبر مساعدة لطالبي اللجوء، وفي غضون عامين تلقت السويد 20490 طلباً جديداً للجوء من نازحين سوريين، بينما تلقت ألمانيا 16100 طلب وفي الوقت نفسه، كانت طلبات اللجوء المقدمة في اليونان وإيطاليا وقبرص أقل من ألف طلب.

ودعت منظمة العفو الدولية الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي إلى إجراء زيادة ملموسة في عدد الأماكن المخصصة لإعادة التوطين وللسماح بالدخول لأغراض إنسانية بالنسبة للنازحين من سوريا، وتعزيز عمليات البحث والإنقاذ في البحر الأبيض المتوسط للتعرف على القوارب المعرضة للخطر ومساعدة من على متنها ضمان المعاملة الكريمة مع من يتم إنقاذهم والسماح لهم بمباشرة إجراءات طلب اللجوء، والتكفل بالكف عن عمليات رد النازحين على أعقابهم بشكل غير قانوني.

كما دعت إلى السماح بالمرور القانوني الآمن لطالبي اللجوء السوريين الراغبين في التوجه إلى الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وضمان استمرار الاتحاد الأوروبي والدول الأعضاء فيه والمجتمع الدولي في تقديم العون للدول التي تستضيف أكبر أعداد النازحين، ولاسيما الأردن ولبنان.

يذكر أن المفوضية الأوروبية خصصت خلال العامين الماضيين نحو 228 مليون يورو لتعزيز عمليات مراقبة الحدود، وخلال الفترة نفسها، خُصص مبلغ 20 مليون يورو فقط، من "الصندوق الأوروبي للاجئين"، لدعم جهود استقبال النازحين.

نازحون في إعزاز ينتظرون عبور الحدود إلى تركيا

«كانت مثل مانديلا بالنسبة إلي»

عن اختطاف ناشطة سورية معروفة

تم اختطاف رزان زيتونة هذا الأسبوع، وهي ناشطة حقوقية سورية وحائزة على عدة جوائز ويشتبه بأن من قام بذلك هم ميليشيات إسلامية متطرفة

■ هانيا مرتضى ■ ترجمة: سعاد يوسف

نشرت في صحيفة التايم بتاريخ 11 كانون الأول 2013

لأكثر من عقد من الزمن، وقفت رزان زيتونة وهي محامية وناشطة في مجال حقوق الإنسان لها من العمر 36 عاماً، وقفت في وجه نظام الرئيس بشار الأسد. لكن قوتها لم تسعفها للوقوف في وجه الرجال الملثمين الذين قاموا باختطافها مع زوجها واثنين من زملائها من منزلها في مدينة دوما بريف دمشق، وذلك مساء يوم الاثنين. حادثة تضاف إلى قائمة الناشطين السوريين المدنيين الذي تم اختطافهم أو قتلهم أو طردهم من البلاد منذ بداية الانتفاضة السلمية في آذار / مارس من العام 2011 والتي تحولت فيما بعد إلى نزاع مسلح.

شكل اختطاف زيتونة من منطقة خاضعة لنفوذ الثوار صدمة للسوريين الذين يعتبرونها مثالاً للنضال السلمي منذ زمن طويل. «كانت مثل مانديلا بالنسبة إلي،» يقول الناشط المعارض وصديق زيتونة أسعد العشي بأسف خلال حديث هاتفي مع التايم من المملكة المتحدة (وهو يقوم بالدخول والخروج من سوريا بشكل منتظم). لم تتم بعد معرفة من وراء عملية الاختطاف هذه، إلا أن الكثيرين يتهمون بذلك الإسلاميين المسيطرين على المنطقة والذين قاموا بتهديد زيتونة فيما مضى. بدوره، يتهم ياسين الحاج صالح، وهو معارض ومفكر معروف وزوج إحدى زميلات زيتونة المختطفات كذلك، يتهم بشكل صريح جيش الإسلام، وذلك من خلال منشور على موقع التواصل الاجتماعي الفيسبوك: «ومن معرفتي المباشرة بالوضع في دوما أرى أن «جيش الإسلام»، ممثلا بقيادته، يتحمل كامل المسؤولية السياسية والمعنوية عن اختطاف سميرة (زوجته) ورزان ووائل وناظم. «أما القائد في جيش الإسلام محمد علوش نفى مسؤولية الجيش عن عملية الاختطاف على موقع الفيسبوك، قائلاً: «الخطف ليس من ضمن النهج الذي نتبعه عادة».

مع تغيير المعارضة السورية لتحالفاتها وصعود الإسلاميين إلى الواجهة، تضاءلت الحماسة الثورية للربيع العربي وحلت محلها حرب أهلية تتزايد وتيرتها يوماً بعد يوم، وتبدو فيها دوافع كافة الأطراف عرضة للشك. يقوم اليوم المتطرفون المناهضون لنظام الأسد بتعريض المواطنين السوريين لانتهاكات تشبه تلك التي اعتاد السوريون التعرض لها من قبل قوات النظام خلال العقود الأربعة الماضية، مما يدفع بالكثيرين للتساؤل فيما إذا كانت حال سوريا تسير نحو الأفضل. وكنتيجة لذلك بدأت حركة الحقوق المدنية في سوريا بالتعثر.

منذ حوالي الشهرين، اضطر صالح وهو زوج صديقة زيتونة المختطفة أيضا إلى مغادرة البلاد بعد أن سيطرت الدولة الإسلامية في العراق والشام التابعة لتنظيم القاعدة على مسقط رأسه الرقة. في رسالة وداعية نشرها على صفحته على موقع الفيسبوك، كان صالح يشتكي من اضطراره للاختباء في مدينته «المحررة» بعد عامين ونصف على بدء الثورة. تحدث عن «الغرباء» الذين سيطروا على مدينته «والذين بدؤوا باعتقال الناس وزجهم في سجون خاصة بهم» منوهاً إلى أن جميع المعتقلين هم «ناشطون سياسيون».

وقبل أن تجذب زيتونة انتباه الإسلاميين، كانت صراحتها قد سببت لها مشاكل مع النظام السوري الذي أصدر بحقها قرار منع سفر في العام 2002. مع بدء الانتفاضة شاركت في تأسيس لجان التنسيق المحلية ومركز توثيق الانتهاكات، وهما منظمتان سوريتان غير حكوميتان توثقان حالات الموت والاختفاء وانتهاكات حقوق الإنسان. ولم تكن تخجل كذلك من الإشارة إلى أخطاء مقاتلي المعارضة السورية. منذ حوالي العام، نشرت افتتاحية طالبت فيها جماعات الجيش الحر المدعومة من الغرب بالعمل جنباً إلى جنب مع النشطاء المدنيين في المناطق التي تقع تحت سيطرة الثوار. وبذلك سعت هي وزملاؤها لتأسيس نموذج ناجح للإدارة المحلية والذي كان من شأنه تعزيز قضية الثورة وتحصينها ضد الجماعات المتطرفة والتي تريد تطبيق نظامها الخاص المستند إلى الشريعة الإسلامية. ونتيجة التزامها بحقوق الإنسان حازت زيتونة عدة جوائز منها جائزة زاخاروف لحرية الفكر، وجائزة آنا بوليتكوفسكايا الروسية في العام 2011، وجائزة الشجاعة الدولية من وزارة الخارجية الأمريكية في العام 2013.

بالنسبة للناشط المعارض أوس المبارك، جاء اختطاف زيتونة ضربة قاسمة. كان ذاهباً صباح الثلاثاء إلى منزلها مع بعض الأصدقاء ليجد جميع أجهزة الكومبيوتر المحمولة الخاصة بالناشطين قد اختفت. فقدان النشطاء المدنيين اليوم يترك فراغاً يخاف الكثيرون أن يقوم المتطرفون باستغلاله.

«اختطافها هو نكسة للحركة المدنية،» يقول الناشط العشي، والذي يقوم كذلك بدور ناطق باسم لجان التنسيق المحلية التي ساعدت زيتونة على إنشائها. «ذلك يشير إلى انتقالنا نحو التطرف بشكل كامل وبدء المواجهة بين اثنتين من قوى الشر: النظام والمتطرفون الإسلاميون. الأمل الوحيد الذي بإمكاننا التمسك به بعد اختطافها هو أن يدفع الغضب إزاء ذلك بالناس إلى تهميش كافة المتطرفين، مرة وإلى الأبد». في سوريا، التي تخيم عليها ظلال الحرب والانقسامات الإيديولوجية، يبقى ذلك خيطاً رفيعاً من الأمل.

http://world.time.com/201311/12//she-was-my-mandela-famous-syrian-activist-gets-abducted/

الحرب سلاحٌ وإعلام واقتصاد وقانون أيضاً

إلى كل ثائر وناشط مقيم خارج الأراضي السورية في يدنا ما نستطيع عمله

■ ياسر مرزوق

يقف «أورست» في مسرحية «الذباب» عند «سارتر»، أمام إله الآلهة جوبيتير قائلاً:

- أنت ملك الآلهة يا جوبيتير وملك الصخور والكواكب وملك الأمواج في كل البحار، ولكنك لست ملك الإنسان.

- لست مليكك أنت، أيتها الدودة الخالية من كل فطنة، ولكن من ذا الذي خلقك.

- أنت وكان يجب أن تخلقني حراً.

- إنما وهبتك الحرية لخدمتي.

- هذا جائز ولكنها انقلبت ضدك ولا حيلة لي ولا لك في ذلك.. لست السيد ولا العبد إنما أنا الحرية لم تكد تخلقني حتى خرجت من نطاقك أنت إله وأنا حر كلانا وحيد وكلانا في اليأس سواء.

ويجيب جوبيتير في مكان آخر: أن سر الآلهة أنها تعلم أن الناس أحرار وهم لا يعلمون.. أن الحرية إذا تفجرت في روح إنسان لم تستطع حتى الآلهة شيئاً ضده.

قد يصح كلام سارتر عن الطاقة الكامنة التي يختزنها الإنسان وإحساسه الفطري بالحرية، والذي بحال اكتشافه لها جديرٌ بصنع المعجزات، فكيف بشعب بأسره انتفض مطالباً بالحرية، لكنه لا يصح إذا أسقطناه على عالم السياسة ودهاليزها فالنظام ماض في القتل والتهجير والتجويع متخذاً مما قاله معاوية بن أبي سفيان مثلاً:

سأحرمكم حتى يذل صعابكم وأبلغ شيءٍ في صلاحكم الفقر

والصفقات تحاك هنا وهناك ويتواطأ الغرب والشرق على وأد ثورة الكرامة، ومع تراجع الحراك المدني، وعدم قدرة جميع المعارضين على حمل السلاح لأسباب يصعب حصرها، يقف الثائر اليوم ليتصدى لدور لا يقل أهمية عن حمل السلاح في الميدان، فإذا كان الطريق إلى المحكمة الجنائية الدولية مغلقاً بالفيتو الروسي من جهة وبعدم انضمام سوريا لميثاق المحكمة من جهة أخرى، فالطريق مفتوح لكل الناشطين أمام المحاكم الوطنية الأجنبية لمقاضاة رموزه تحت عنوان، الاختصاص القضائي العالمي، والذي سنضيء عليه في ملفنا اليوم كدعوة لكل الناشطين والمتضررين المقيمين خارج الأراضي السورية للضغط على رموز النظام ومحاصرتهم قانونياً.

الاختصاص القضائي العالمي:

يعني مبدأ عالمية الاختصاص القضائي بأنه لكل دولة المصلحة في محاكمة مرتكبي جرائم معينة تمس الضمير العالمي بأسره، بغض النظر عن ما يشترطه الاختصاص المكاني القانوني أي مكان ارتكاب الجريمة أو جنسية مرتكبي الجريمة أو جنسية الضحية، وعلة تشريع الاختصاص القضائي العالمي هو تقديم ضمانة للبشرية بعدم إتاحة ملجأ آمن للمسؤولين عن ارتكاب الجرائم الخطيرة بحق الإنسانية.

وتاريخياً كانت القرصنة هي الجريمة العالمية المعروفة، ثم أضيفت إليها جريمة تجارة العبيد، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية اتسع نطاق الجرائم الداخلة تحت الاختصاص القضائي العالمي مثل جريمة الإبادة الجماعية، والتعذيب، والفصل العنصري.

وقد سجل القضاء الأمريكي سابقة قضائية في قضية فيلارتيغا، حيث رفع أحد ضحايا التعذيب في الباراغواي قضية مدنية ضد من قام بتعذيبه والذي صدف أن كان مقيماً في الولايات المتحدة أيضاً وقالت المحكمة في حكمها: «لقد أصبح مرتكب التعذيب، مثل القرصان وتاجر الرقيق من قبله، عدواً للبشرية بأسرها».

الجرائم التي تنطبق عليها عالمية الاختصاص القضائي:

التعذيب:

أصدرت الأمم المتحدة عام 1948 نص اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، ورفعت بها الحصانة عن دكتاتور تشيلي الجنرال بينوشيه وصدر الحكم بجواز تسليمه إلى إسبانيا - على أن تقوم الدولة الطرف في المعاهدة والتي يقيم المجرم على أراضيها بمحاكمته إذا امتنعت عن تسليمه والقضية السنغالية المرفوعة ضد حسين حبري تستند في المقام الأول كذلك إلى «اتفاقية مناهضة التعذيب».

وفي عام 1998 ألقت شرطة مدينة لندن القبض على الجنرال بينوشيه، بناءً على أمر قضائي إسباني بالقبض على الدكتاتور السابق بتهمة ارتكاب جرائم ضد حقوق الإنسان في شيلي إبان فترة حكمه التي دامت 17 عاماً؛ ورفضت المحاكم البريطانية ما زعمه بينوشيه من الحق في الحصانة، وحكمت بجواز تسليمه إلى إسبانيا لمحاكمته هناك.

وقضية بينوشيه كانت ثمرة جهود للحقوقيين والناشطين الذين عكفوا على توثيق انتهاكات الأخير منذ عام 1973 وتم توثيق ما يربو عن 2000 حالة من حالات القتل و«الاختفاء».

وفي عام 1996، قام المحامون الموكلون للدفاع عن ضحايا القمع العسكري في الأرجنتين وشيلي، بعد أن عجزوا عن رفع الدعوى في أي منهما، برفع دعاوى جنائية في إسبانيا ضد الحكام العسكريين السابقين لهاتين الدولتين، ومن بينهم الجنرال بينوشيه. وعلى الرغم من أن معظم تلك الجرائم كانت قد ارتكبت في الأرجنتين وشيلي، فقد سمحت المحاكم الإسبانية بنظر تلك الدعاوى في إسبانيا، عملاً بمبدأ «عالمية الاختصاص القضائي» بنظر الانتهاكات البشعة لحقوق الإنسان، وهو المبدأ الراسخ في التشريع الإسباني وفي القانون الدولي.

وتعرّف الاتفاقية التعذيب بأنه «أي عمل ينتج عنه ألم أو عذاب شديد، جسدياً كان أم عقلياً، يلحق عمداً بشخص ما بقصد الحصول من هذا الشخص، أو من شخص ثالث، على معلومات أو على اعتراف، أو معاقبة على عمل ارتكبه أو يشتبه في أنه ارتكبه، هو أو شخص ثالث أو تخويفه أو إرغامه هو أو أي شخص ثالث - أو عندما يلحق مثل هذا الألم أو العذاب لأي سبب من الأسباب يقوم على التمييز أياً كان نوعه، أو يحرض عليه أو يوافق عليه أو يسكت عنه موظف رسمي أو أي شخص آخر يتصرف بصفته الرسمية». وتنص الاتفاقية على إلا تقتصر العقوبة على الشخص الذي يقوم فعلاً بارتكاب أعمال التعذيب، بل أن تشمل أيضاً من يتواطئون معه أو يشاركونه في هذه الأعمال.

كما أن «اتفاقية مناهضة التعذيب»، تعتبر مشاركة المسؤول الحكومي أو أي شخص يعمل بصفته مسؤولاً حكومياً، ركناً من أركان جريمة التعذيب.

الإبادة الجماعية:

حتى اليوم لم يصل التشريع العالمي لإيجاد نص محدد في اتفاقية منع الإبادة الجماعية، وعليه فإنه يجوز لأي دولة، استناداً إلى القانون الدولي القائم على العرف، أن تحيل كل من يتهم بالإبادة الجماعية إلى العدالة بموجب عالمية الاختصاص القضائي.

في مقال للدكتور «رالف روزنتال» في «المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع» يقول: «لكي تنجح الإبادة يجب أن تتوافر لها أربعة عناصر، أولاً أن يكون منفذو الإبادة على اقتناع تام بصحة عملهم، وبأنهم يتصفون بالامتياز العنصري والإنساني عن غيرهم، ثانياً: أن يكون أمام المنفذين مجموعة تستحق الإبادة من وجهة نظرهم، ثالثاً: أن تتوافر الأسلحة القادرة على التنفيذ بالسرعة المطلوبة، رابعاً: أن تتم العملية وسط جو سياسي ومعنوي خاص لا يكترث لعملية الإبادة، وإنما يقابل هذه العملية بالتفرج عليها».

الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية:

تم تقنين الجرائم ضد الإنسانية بعد محكمة نورنبرغ الشهيرة لمحاكمة القيادات النازية بعد الحرب العالمية الثانية، أما القانون الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية الناشئة فيتضمن (في المادة السابعة) تعريفاً للجرائم المرتكبة ضد الإنسانية

1 - يشكل أي فعل من الأفعال التالية «جريمة ضد الإنسانية» متى ارتكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجه ضد أية مجموعة من السكان المدنيين، وعن علم بالهجوم: «القتل العمد، الإبادة، الاسترقاق، إبعاد السكان أو النقل القسري للسكان، السجن أو الحرمان الشديد على أي نحو آخر من الحرية البدنية بما يخالف القواعد الأساسية للقانون الدولي، التعذيب، الاغتصاب أو الاستعباد الجنسي أو الإكراه على البغاء، أو الحمل القسري، أو التعقيم القسري أو أي شكل آخر من أشكال العنف الجنسي على مثل هذه الدرجة من الخطورة، اضطهاد أية جماعة محددة أو مجموع محدد من السكان لأسباب سياسية أو عرفية أو قومية أو إثنية أو ثقافية أو دينية، أو متعلقة بنوع الجنس على النحو المعرف في الفقرة 3، أو لأسباب أخرى من المسلم عالمياً بأن القانون الدولي لا يجيزها، وذلك فيما يتصل بأي فعل مشار إليه في هذه الفقرة أو أية جريمة تدخل في اختصاص المحكمة، الاختفاء القسري للأشخاص، جريمة الفصل العنصري، الأفعال اللإنسانية الأخرى ذات الطابع المماثل التي تتسبب عمداً في معاناة شديدة أو في أذى خطير يلحق بالجسم أو بالصحة العقلية أو البدنية.

جرائم الحرب:

عرفت الجنائية الدولية جرائم الحرب بأنها:

أ) الانتهاكات الجسيمة لاتفاقيات جنيف المؤرخة 12 آب / أغسطس 1949، وأي فعل من الأفعال التالية ضد الأشخاص، أو الممتلكات الذين تحميهم أحكام اتفاقية جنيف ذات الصلة:

1 - القتل العمد.

2 - التعذيب أو المعاملة اللاإنسانية، بما في ذلك إجراء تجارب بيولوجية.

3 - تعمد إحداث معاناة شديدة أو إلحاق أذى خطير بالجسم أو بالصحة.

4 - إلحاق تدمير واسع النطاق بالممتلكات والاستيلاء عليها دون أن تكون هناك ضرورة عسكرية تبرر ذلك وبالمخالفة للقانون وبطريقة عابثة.

5 - إرغام أي أسير حرب أو أي شخ ص آخر مشمول بالحماية على الخدمة في صفوف قوات دولة معادية.

6 - تعمد حرمان أي أسير حرب أو أي شخص آخر مشمول بالحماية من حقه في أن يحاكم محاكمة عادلة ونظامية.

7 - الإبعاد أو النقل غير المشروعين أو الحبس غير المشروع.

8 - أخذ رهائن.

ب) الانتهاكات الخطيرة الأخرى للقوانين والأعراف السارية على المنازعات الدولية المسلحة في النطاق الثابت للقانون الدولي، أي فعل من الأفعال التالية:

1 - تعمد توجيه هجمات ضد السكان المدنيين بصفتهم هذه أو ضد أفراد مدنيين لا يشاركون مباشرة في الأعمال الحربية.

2 - تعمد توجيه هجمات ضد مواقع مدنية، أي المواقع التي لا تشكل أهدافاً عسكرية.

3 - تعمد شن هجمات ضد موظفين مستخدمين أو منشآت أو مواد أو وحدات أو مركبات مستخدمة في مهمة من مهام المساعدة الإنسانية أو حفظ السلام عملاً بميثاق الأمم المتحدة ما داموا يستخدمون الحماية التي توفر للمدنيين أو للمواقع المدنية بموجب قانون المنازعات المسلحة.

4 - تعمد شن هجوم مع العلم بأن هذا الهجوم سيسفر عن خسائر تبعية في الأرواح أو عن إصابات بين المدنيين أو عن إلحاق أضرار مدنية أو إحداث ضرر واسع النطاق وطويل الأجل وشديد للبيئة الطبيعية يكون إفراطه واضحاً بالقياس إلى مجمل المكاسب العسكرية المتوقعة الملموسة المباشرة.

5 - مهاجمة أو قصف المدن أو القرى أو المساكن أو المباني العزلاء التي لا تكون أهدافاً عسكرية بأية وسيلة كانت.

6 - قتل أو جرح مقاتل استسلم مختاراً، يكون قد ألقى سلاحه أو لم تعد لديه وسيلة للدفاع0

7 - إساءة استعمال علم الهدنة أو علم العدو أو شارته العسكرية وزيه العسكري أو علم الأمم المتحدة أو شاراتها وأزيائها العسكرية، وكذلك الشعارات المميزة لاتفاقيات جنيف مما يسفر عن موت الأفراد أو إلحاق إصابات بالغة بهم.

8 - قيام دولة الاحتلال على نحو مباشر أو غير مباشر، بنقل أجزاء من سكانها المدنيين إلى الأرض التي تحتلها، أو أبعاد أو نقل كل سكان الأرض المحتلة أو أجزاء منهم داخل هذه الأرض أو خارجها.

9 - تعمد توجيه هجمات ضد المباني المخصصة للأغراض الدينية أو التعليمية أو الفنية أو العلمية أو الخيرية، والآثار التاريخية، والمستشفيات وأماكن تجمع المرضى والجرحى شريطة إلا تكون أهدافاً عسكرية.

10 - إخضاع الأشخاص الموجودين تحت سلطة طرف معاد للتشويه البدني أو لأي نوع من التجارب الطبية أو العلمية التي لا تبررها المعالجة الطبية أو معالجة الأسنان أو المعالجة في المستشفى للشخص المعني والتي لا تجري لصالحه وتتسبب في وفاة ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص أو في تعريض صحتهم لخطر شديد.

11 - قتل أفراد منتمين إلى دولة معادية أو جيش معاد أو إصابتهم غدراً.

12 - إعلان أنه لن يبقى أحد على قيد الحياة.

13 - تدمير ممتلكات العدو أو الاستيلاء عليها مالم يكن هذا التدمير أو الاستيلاء مما تحتمه ضرورات الحرب.

14 - إعلان أن حقوق ودعاوى رعايا الطرف المعادي ملغاة أو معلقة أو لن تكون مقبولة في أية محكمة.

15 - إجبار رعايا الطرف المعادي على الاشتراك في عمليات حربية موجهة ضد بلدهم حتى وإن كانوا قبل نشوب الحرب في خدمة الدولة المحاربة.

16 - نهب أي بلدة أو مكان حتى وإن تم الاستيلاء عليه عنوة.

17 - استخدام السموم أو الأسلحة المسممة.

18 - استخدام الغازات الخانقة أو السامة أو غيرها من الغازات وجميع ما في حكمها من السوائل أو المواد أو الأجهزة.

19 - استخدام الرصاصات التي تتمدد أو تتسطح بسهولة في الجسم البشري مثل الرصاصات ذات الأغلفة الصلبة التي لا تغطي كامل جسم الرصاصة أو الرصاصات المحززة الغلاف.

20 - استخدام أسلحة أو قذائف أو مواد أو أساليب حربية تسبب بطبيعتها أضراراً زائدة أو آلاماً لا لزوم لها، أو تكون عشوائية بطبيعتها بالمخالفة للقانون الدولي للمنازعات المسلحة، بشرط أن تكون هذه الأسلحة والقذائف والمواد والأساليب الحربية موضع حظر شامل وأن تدرج في مرفق لهذا النظام الأساسي، عن طريق تعديل يتفق والأحكام ذات الصلة الواردة في المادتين 121، 123.

21 - الاعتداء على كرامة الشخص وبخاصة المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.

22 - الاغتصاب أو الاستعباد الجنسي أو الإكراه على البغاء أو الحمل القسري على النحو المعرف في الفقرة 2 (و) من المادة 7، أو التعقيم القسري، أو أي شكل آخر من أشكال العنف الجنسي يشكل أيضاً انتهاكاً خطيراً لاتفاقيات جنيف.

23 - استغلال وجود شخص مدني أو أشخاص آخرين متمتعين بحماية لإضفاء الحصانة من العمليات العسكرية على نقاط أو مناطق أو وحدات عسكرية معينة.

24 - تعمد توجيه هجمات ضد المباني والمواد والوحدات الطبية ووسائل النقل والأفراد من مستعملي الشعارات المميزة المبينة في اتفاقيات جنيف طبقاً للقانون الدولي.

25 - تعمد تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب بحرمانهم من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم، بما في ذلك تعمد عرقلة الإمدادات الغوثية على النحو المنصوص عليه في اتفاقيات جنيف.

26 - تجنيد الأطفال دون الخامسة عشرة من العمر إلزامياً أو طوعياً في القوات المسلحة أو استخدامهم للمشاركة فعلياً في الأعمال الحربية.

ج) في حالة وقوع نزاع مسلح غير ذي طابع دولي، الانتهاكات الجسيمة للمادة 2 المشتركة بين اتفاقيات جنيف الأربع المؤرخة في 12 آب / أغسطس 1949، وهي أي من الأفعال التالية المرتكبة ضد أشخاص غير مشتركين اشتراكاً فعلياً في الأعمال الحربية، بما في ذلك أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا سلاحهم وأولئك الذين أصبحوا عاجزين عن القتال بسبب المرض أو الإصابة أو الاحتجاز أو لأي سبب آخر: -

1 - استعمال العنف ضد الحياة والأشخاص، وبخاصة القتل بجميع أنواعه والتشويه، والمعاملة القاسية، والتعذيب.

2 - الاعتداء على كرامة الشخص، وبخاصة المعاملة المهينة والحاطة بالكرامة.

3 - أخذ الرهائن.

4 - إصدار أحكام وتنفيذ إعدامات دون وجود حكم سابق صادر عن محكمة مشكلة تشكيلاً نظامياً تكفل جميع الضمانات القضائية المعترف عموماً بأنه لا غنى عنها.

د) تنطبق الفقرة 2 (ج) على المنازعات المسلحة غير ذات الطابع الدولي وبالتالي فهي لا تنطبق على حالات الاضطرابات والتوترات الداخلية مثل أعمال الشغب أو أعمال العنف المنفردة أو المتقطعة وغيرها من الأعمال ذات الطبيعة المماثلة.

الدول التي تسمح برفع الدعوى في الجرائم المرتكبة خارج إقليمها:

لا يكفي التوقيع على الاتفاقية الدولية لمحاكمة مجرمي الإنسانية بل يختلف ذلك باختلاف القانون المتبع في بلد دوناً عن غيره، ففي عديد من البلدان تصبح المعاهدات جزءاً من القانون الوطني وفي حال التعارض يتم تعديل القانون الوطني لصالح الاتفاقية الدولية، وينطبق ذلك على الدول التي تتبع في تشريعها القانون المدني الفرنسي على نحو ما نشهده في بلدان إفريقيا الناطقة بالفرنسية وفي سوريا ولبنان، أما البلدان التي تعتمد العرف أساساً للتشريع

مصر على سبيل المثال. وهكذا فإذا كان القانون الدولي التقليدي أو القائم على العرف ينص على عالمية الاختصاص القضائي، فلا بد أن يتوافر لدى محاكم هذه الدول الأساس الكافي لرفع الدعوى القضائية. وعلى غرار ذلك نجد أن الكثير من بلدان أمريكا اللاتينية وأوروبا لديها من القوانين ما يشير بصفة عامة إلى المعاهدات التي صادقت عليها تلك البلدان؛ وهذا هو المتبع في النمسا وبوليفيا والبرازيل وكوستاريكا وقبرص وجمهورية التشيك والدانمرك وإكوادور والسلفادور وإثيوبيا وفرنسا وجورجيا وألمانيا وغواتيمالا وهندوراس وباراغواي وبيرو وروسيا وإسبانيا وسريلانكا، وسويسرا وأوروغواي وغيرها.

ولكن بلداناً كثيرة أخرى تصر على ضرورة «إدماج» المعاهدات بصورة محددة في القوانين الوطنية قبل الارتكان إليها؛ وكثيراً ما تقوم البلدان بالمصادقة على المعاهدة ثم لا تصدر اللوائح التنفيذية لإدماج المعاهدة في القانون الوطني، مثل قانون العدالة الجنائية في المملكة المتحدة.

تجدر الإشارة إلى أنه في معرض تطبيق الاختصاص القضائي العالمي لا يشترط أن يكون المتهم موجوداً في دولة الادعاء، ويتوقف ذلك على القوانين الخاصة بكل بلد، وعلى الغرض من إقامة الدعوى، وإمكان تسليم المتهم آخر الأمر؛ ويجب أن نذكر أن بينوشيه كان موجوداً في وطنه شيلي عندما بدأت إجراءات إقامة الدعوى ضده في إسبانيا.

قوانين التقادم:

صادقت 43 من دول العالم على اتفاقية تقضي بعدم تطبيق مهل التقادم المتعارف عليها في القوانين الوطنية على جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية. وقد أصدر كل من القضاء الفرنسي والبلجيكي أحكاماً قاطعة بعدم سريان التقادم مادام المتهم يتمتع بقدرات تجنبه المثول أمام العدالة، إلا أنه وفي تشريعات عالمية أخرى يلجأ القضاة الوطنيون إلى القانون المحلي ويعملون مبادئ التقادم مما يؤدي إلى رد الدعوى شكلاً.

الحصانة:

تعد مسألة الحصانة الحكومية من الإشكاليات التي تواجهها محاكمة مجرمي الحرب وفق الاختصاص القضائي العالمي باعتبار المسؤول قد يتمتع بحصانة باعتباره رئيساً حالياً أو سابقاً لدولة بعينها

وقد رفضت فرنسا وبلجيكا الطلبات التي تقدمت بها المنظمات الأوروبية في تشرين الثاني 1998 لمحاكمة لوران كابيلا، رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية، أثناء زيارته لتلك الدولتين. كما يشكل كون المجرم رئيساً للدولة عبأ في تحديد مفهوم الحصانة التي يتمتع بها الرئيس في حدود وظيفته كحاكم للدولة، وقد استقر القضاء البريطاني في قضية بينوشيه بأن جرائم التعذيب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية لا تعتبر من «وظائف» رئيس الدولة.

كما يمكننا الاستناد إلى ما قضى به القانون الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية بأن «الصفة الرسمية للشخص باعتباره رئيساً للدولة لا تعفيه بحال من الأحوال من المسؤولية الجنائية»، كما توجد أحكام مماثلة في القانون الأساسي للمحكمتين الجنائيتين الدوليتين لرواندا ولويوغوسلافيا السابقة وقد وجهت الأخيرة الاتهام في عام 1999 إلى سلوبودان ميلوسيفيتش، رئيس جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية.

في الختام تتوجه سوريتنا بدعوة للحقوقيين والمتضررين والناشطين في مجال حقوق الإنسان والناشطين السوريين المنتشرين في كل مكان إلى البدء بحملة قضائية تستهدف رموز النظام السوري وحزب الله وتوابعه، بشكل قانوني ودستوري يتبع للمكان الذي يقيم فيه، مع التأكيد بأن الحرب سلاح وإعلام واقتصاد وقانون أيضاً.

مشروع تطييف الحل في سوريا روسيا وأميركيا

■ الياس س الياس

في نهاية نوفمبر ألقى فيصل مقداد جملته: لن يكون هناك سوريا إذا سقط بشار أسد.. قبلها، وحين كانت الثورة السورية تعبر سلميا عن مطالبها في تغيير النظام السياسي كان جل تركيز رجال الدين المحيطين بعصابة دمشق يُطلقون ذات العبارة، ومنهم مفتي بشار أحمد بدر الدين حسون الذي أضاف نهاية، إلى جانب نهاية سوريا بنهاية بشار، الديانتين الإسلامية والمسيحية بسقوط بشار.. ثم سمعنا جميعا هرطقات معسكر « الممانعة» الذي عبر عما يجول في خياله المريض حسن نصر اللّه حين قال بأن القضية الفلسطينية ستنتهي بنهاية بشار.. بالطبع المعسكر هذا لا يروق له نقل ما يجول في خاطر الساسة والمخططون الصهاينة ومنهم شيمون بيريز وافيغدور ليبرمان الذي يعبر بلا دبلوماسية في موسكو عن أن بشار أسد هو أكثر الأنظمة «موائمة» لإسرائيل..

هناك رواية تم تداولها / وسواءً كانت صحيحة أم لا فهي رواية يعبر عنها هؤلاء الرابطون لمصير سوريا بمصير فرد مُورث يصفونه بالرئيس الشرعي / نُقل ذات مرة عن حافظ أسد جملة تلخص كل ما يحاوله وريثه.. ففي إجابة على سؤال لصحفي أجنبي عما ستؤول إليه الأمور لو جرى انقلاب عليه قال: - لن يكون.. سأله الصحفي: - لن يكون هناك انقلاب؟ رد حافظ بنزق: لن يكون هناك سوريا!

تلك مقدمات ما نحن عليه اليوم.. تستطيع أن تقول ما تريد وتفكر بما تريد.. لكن، التفكير الرغبوي حين يُربط بأفعال جهنمية لتوفير ظروف توحي بأن رغبتك على وشك التحقيق بأساليب إجرامية فهو تفكير ينم عن حالة مرضية مكلفة كما كلفت في سوريا كل ذلك الحديث الهراء عن المؤامرة الكونية.. وببساطة أكثر ما يروق لمعسكر الممانعة، وإن لم تتطرق له قنواتها المشغولة بالدعاء على اللاجئين السوريين تحت الثلوج في لبنان كما فعلت مذيعة غسان بن جدو سناء أبي حيدر في شماتة بهيمية بأطفال يتجمدون موتا، هو الخطاب الصهيوني عن « الموائمة» والمترجمة بلغة فصيحة في مقدمات نشرات وسائل الدعاية الفاشية: مئاومة.. هم يتوهمون بأن تغييب ما يتسرب وما يقال جهارا من الطرف الصهيوني عن أفضلية بشار ولو صرخ في السابق كل ذلك الصراخ عن المقاومة والممانعة ربما يفيدهم لحظيا لكي يبقى التفكير القطيعي هو المهمين على عقول متلقي دعايتهم الشبيهة بدعاية نقل سيارة الجيب الإسرائيلي من جنوب لبنان إلى القصير..

على ماذا يستند هؤلاء في شعارات تنفي وجود كل شيء تقريبا في سقوط نظام عصابة دمشق؟ المقداد (وفيما يبدو أنه وزير خارجية العصابة الفعلي) يعرف تماما عقلية اللوبيات الصهيونية في أميركا، هو وعماد مصطفى وبشار الجعفري استثمروا جدا في علاقتهم المفتوحة مع هؤلاء، وأثمرت في فترة سبقت انطلاق الثورة السورية (عدا عن زيارات جون كيري وتناوله عشاء عائلي مع سفاح دمشق في مطاعمها) لدعوات متعددة لرموز اللوبيات الصهيونية في واشنطن وأبرزهم توماس داين الرئيس السابق لمنظمة الإدارة التنفيذية لـ«ايباك» ليحضر حتى إلى القصر الرئاسي والالتقاء ب» وردة من الصحراء» وهم يلمعون نظام بشار في السنوات التي تلت اغتيال الحريري.. لم تأت تصريحات الصهاينة من فراغ، ولم تعرج الصحافة العبرية على بشار كملك ملوك إسرائيل على خلفية غير تلك التي تراه استمرار لنظام عصابة يعلو ضجيجها بحق « إسرائيل والامبريالية» لكن في الممارسة هو استمرار لنهج والده في كسب رضا واشنطن وباريس من خلال تقديم ما قدم من جعجعة عن فلسطين والجولان وفي الممارسة هو ما شهدته الساحة الفلسطينية من شق صفوف وتأليب وملاحقة ومضايقات وبالنسبة للجولان ضبط على الإيقاع الاحتلالي الذي رسخ حتى « موافقة أمنية» ليزور النازح مسقط رأسه في ما يوصف الجولان المحرر..

ليست تلك وحدها ما استدعت شخصية صهيونية بحجم داين لأن يكون ضيفا على « قصر الممانعة» بل ما نراه اليوم كنتاج لعقلية مافيا بدائية كانت منتشرة في بدايات القرن الماضي في شيكاغو.. إطلاق يد عصابات ومن ثم مجيء رجال العصابات المتأنقون يعرضون خدماتهم مقابل فرض « الخوة».. وذات يوم قال أحد أكثر العارفين بطبيعة النظام السوري: لفهمه عليك مشاهدة أجزاء فيلم العراب.. أن ربط «مصالح» الصهاينة بمصالح نظام العراب بدا واضحا منذ مقابلة رامي مخلوف الشهيرة، وحين كان أهالي حوران يتساءلون عن الكيفية التي ظهرت فيها فجأة المعدات العسكرية لقصفهم وهي الممنوعة بحسب اتفاقية فصل القوات منذ ٧٤ فقد تبعه عشرات الأسئلة عن صواريخ سكود والطائرات والدبابات التي كانت تناور عند الشريط تماما.. بل الأعمق في تلك الأسئلة: لماذا لم تقم دولة الاحتلال في الجولان ببناء جدار فصل سوى حين قامت الثورة السورية؟

إلى ماذا أرمي؟ قد لا تكون مؤامرة عمليات إطلاق سراح هؤلاء الذين كانوا متهمون بالانتماء للقاعدة ومنهم شخصيات سلمتها سي أي إيه إلى عصابات المافيا في دمشق لانتزاع اعترافات منها.. بل ومنها شخصية ليس لها علاقة لا من قريب ولا من بعيد بالقاعدة كالمهندس الكندي - السوري ماهر عرار الذي عوضته حكومة كندا بعشرين مليون دولار كندي عن الخطأ الذي ارتكب بحقه حين كان يصرخ بشار عن الممانعة بينما ينفذ سياسة خدمة السي أي إيه.. فهل انقلب السحر على الساحر؟! ربما صدق نفسه في حالة الانفصام وتفشي النفاق والتملق في صفوف رجال الدين والمتأنقين من عصابات مافيا العراب على كل المستويات الإعلامية والسياسية والعسكرية بأنه طالما هو قادر على عرض خدماته على تل أبيب وواشنطن وبنفس الوقت الاستمرار في الحديث عن هراء تآمر ٨٣ دولة عليه فسيمتد عمر تزعمه كعراب لعصابة لم تعد محلية فحسب.. وحين ترى هذا الاستلاب المتخذ لمنحى طائفي باستيراد عصابات مرتزقة من العراق وإيران ولبنان فبالتأكيد ستسأل نفسك: كيف يقبل « الجيش العربي السوري» أن يُذبح بالسكاكين أبناء النبك وقبلها الذيابية باسم الحسين وزينب؟! ذلك مجرد سؤال استهلالي لمئات الأسئلة التي لا يجيب عليها المنشغلون برواية أن سوريا تعيش مؤامرة كونية يبرر لما يسمى محاربتها ذبح أطفال ونساء واستبعاد كل حديث يظهر عصابات بشار ومرتكب مذبحة قانا شيمون بيريز يمتدحها ووزير خارجيته ليبرمان يرى فيه الأكثر موائمة لمصالح الدولة الصهيونية.. وبظني صار الأمر أشبه بتضييع وقت لإثبات المثبت ولو لم يكن العقل الذي يحمله منحبكجية لا يختلف عن كومبارس فقراء أفلام المافيا وهم يتعاطفون مع العراب وهو يصدر أوامره غير مصدق أن النقاشات الصهيونية تركزت دائما على: من هو البديل الذي يمكن أن يوفر لنا ما وفره آل الأسد وعصاباتهم؟ بالمناسبة، اضطر مؤخرا عمار أسد (عضو مجلس شعب عن عائلة حكام القرداحة والمهاجرين) للرد بنفخة دينية على المتسائلين البسطاء من العلويين عن قتل أولادهم بينما يتنعم الثلاثي أسد - مخلوف - شاليش بأموال منهوبة وبتأشيرات وجنسيات أخرى وإرسال لعوائلهم إلى الخارج.. رد أظهر كيف يفكر هؤلاء باعتبارهم « القواد» و« الأسياد» في محرقة حطبها البسطاء بينما أول من تنتشله من مطار أو ثكنة محاصرة طائرات الهيلوكبتر هم « الأسياد» من هؤلاء!

موسكو التي تسوق العصابات

هل نتذكر مثلا متى راح منجمون ودجالون في لبنان يلقون خرافاتهم عن « رؤية بشار في اللاذقية»؟ ومتى كان الحديث عن « دولة علوية»؟ لن أفرض قراءتي على أحد وسأترك للقارئ البحث عن تواريخ تظهر الحالة التي نحن عليها كإجابة ربما على ما جاء في المقدمة عن « لن يكون هناك سوريا»!

لنعد ونتذكر الآن.. لماذا ومنذ اللحظة الأولى أشاع نظام العصابة مقولته الشهيرة مكررة: ما يجري فتنة! بثينة شعبان لم تبخل في مارس / آذار 2011 ولم يبخل بشار بنفسه.. بثينة راحت، ليتذكر البعض، تبرر استخدام السلاح الثقيل في حمص بالقول: لا أستطيع زيارة قبر أمي في حمص.. إنهم متطرفون قتلة جاءوا من الخارج! وبثينة نفسها استمرت بالهرطقة الطائفية وهي تحدثنا عن أطفال كيماوي الغوطتين وإشارات طائفية لا موارية فيها هذه المرة.. التدرج الذي اعتمده حسن نصر اللّه والذي وصل أوجه في شعار « لبيك يا زينب» هو التعبير الأكثر فجاجة منذ محاولة إقناع السوريين بأنه كذب القول: الشعب السوري واحد.. التدفق العسكري لحسن نصر اللّه وتحت جناحه شيعة من كل البلاد ليس مصادفة أنه كان منذ ابريل 2011 والتغطية عليه لم تنفع كثيرا بعد أن صار المستنقع يلتهم كل ما يرمى في أتونه وهو سيستمر بلا أية أوهام.. لكن مهلا، وهذا سؤال يشمل هؤلاء « العلمانيون» الفزعون منذ بداية الحراك الشعبي السوري، عن أي إسلام يتحدث حسون؟ كيف سيسقط وينتهي الإسلام والعروبة وفلسطين؟! أمر عجيب أن يكون الهم الأكبر لقلعة العلمانية « الأخيرة» هو الحفاظ على « الإسلام والمسيحية» في صورها الخمينية والحزبالهية باعتبار التجربتين قمة في التحضر والجثث تتدلى من رافعات كهرباء إيران وكاتم الصوت يشتغل منذ البداية انطلاقا من الضاحية الجنوبية لبيروت.. ليس مهدي عامل وحده.. مسيحية مثلا القمصان السود والفاشية هي التي يتباكى عليها مثلا أحمد بدر الدين حسون؟ أحمد معاذ الخطيب لا يفقه بالإسلام شيئاً وجورج صبرا تلميذ ابن تيمية في عرف الناعقين وهم يبحثون عن « وكر « الأخير في بساتين المزة وكفرسوسة.. و12 فصيلا شيعيا عراقيا و» زعامات» بمستوى أبو شهد الجبوري الذي قاد بيديه ستيني سوري في النبك نحو الذبح كلهم في بوتقة « العلمانية» الجديدة والتطرف باسم زينب والقسم الطائفي بأنها لن

تسبى مرتين ليس فيه أية إشارة طائفية حاقدة تجاه السوريين بالاتهام ضمنا والذبح علنا.. أبداً فكلما ثار سؤال قفزت الأجوبة كما يجيد تكرارها أكثر أصدقاء لوبيات نيويورك وواشنطن بشار الجعفري: وهابيون تكفيريون ظلاميون!

شخصيا لست في وارد فهم ولا تفهم ولا قبول هذه الهمجية التبريرية في قتل الناس وذبحهم ليس باسم زينب والحسين فحسب بل ولو كان باسم محاربة الشياطين.. الكبيرة منها والصغيرة على فكرة.. في هذه الجريدة « سوريتنا» ربما أرهقت القارئ وأنا أتحدث عن « داعش» وقبلها عن النصرة والقاعدة وعن خطورة الوقوع في فخ الطائفية.. لكنني كم أشعر بالقرف حين أتابع ما يقوله المثقف الطائفي من مثل أدونيس أو أقرأ عبارات بشار إسماعيل وهو يحادث كلبه عن جثث قتلى النبك وهو يدرك بأنهم عوائل فيهم النساء والأطفال ذبحوا تحت صراخ: لبيك يا حسين.. قلت سابقا.. ومنشور ما قلته منذ سنتين وكررته قبل أيام.. حذار من هذه الاستدعاءات الطائفية.. حذار من هذا الاستخفاف بالضحية وتبرير كل هذه الدماء.. قلت بأننا لم نرى بعد سوى رأس جبل ما أوقع فيه عقل العصابة سوريا والسوريين والآن هاهو ينفذ ما هدد به حين كان يدرك إلى أين يخططون أخذ سوريا: أفغانستانات.. هل تتذكرون من قالها؟ نعم هو بعظمة لسانه وهو يسترضي من خلال قنوات « الامبريالية» بأنه ما يزال على العهد في تقديم خدماته التي عهدها وليام كايسي.. أبداً لا شيء اسمه مصادفة.. ولا حتى فرح الممانعة بالسرير الأمريكي الإيراني..

ولم تكن مصادفة كل جمل موسكو المعترضة منذ البداية على عبور السوريين لمرحلة الاستبداد وعقلية المافيا نحو دولة « الشعب السوري واحد».. بما فيها الجمل التي كانت خارج السياق: دولة سنية! لم تطرح الثورة الشعبية ولا مرة شكلا محددا لدولتها سوى دولة مواطنيها المتساوون تحت هتاف واحد واحد الشعب السوري واحد.. وكيف يروق لموسكو أن لا تلعب بدماء السوريين لتحقيق مصالحها الخاصة مع الغرب؟ أخطأ الغرب والعرب في تقديرهم لجرأة وصمود السوريين.. مثلما أخطأ كل أبواق « خلصت» من رفيق نصر الله وناصر قنديل إلى آخر ذيل القائمة وهم يقلبون اليوم القصة على رأسها.. أخطأت دول كثيرة ومنظمات دولية وهي تترك السوريين والسوريات يواجهون مصيرا لم تترك بمثله شعوب أخرى تعرضت لأقل بكثير مما تعرض له الشعب السوري ولو بكوارث جلبتها الطبيعة.. ولا شك عندي بأن خطاب سياسي وإعلامي حمل نفسا « أقلويا وأكثريا» بالمعنى الطائفي بتركيز وانتبه شديدين على « أقليات» أوجد التربة الخصبة إلى جانب كل ما تحدثنا عنه من ممارسات واستدعاءات قام به نظام العصابة وأتباعه القادمون بشكل منظم ومنهجي من خارج الحدود.. أقول تربة خصبة لتنامي خطاب متطرف يستبق كل شيء بالحديث عن شكل الدولة وماهية الحكم.. ربما هذا ما سعت موسكو إليه بفشل خيار غروزني في سوريا التي لم تفهم لا هي ولا واشنطن وتل أبيب عمق المأزق الذي وضعهم فيه حكم وراثي خرافي عائلي صار عبئا حتى أقرب مقربي العصابات التي صارت تسوق تبريرات بالسؤال عن أماكن بيت الأسد في محرقة يزج فيها أولاد هؤلاء..

دعوني أقولها صراحة: مراهنة أصدقاء موسكو السوريين.. وتحديدا فيما يسمى « المعارضة الشريفة» تحت سقف بشار هي التي ساقت بأن أوراق الحل بيد موسكو.. تلك كارثة ستكشف الأيام حجمها.. هؤلاء ومنهم من يظن نفسه ياسريا ما يزالون يعيشون وهم فترة « الحرب الباردة» وبأن موسكو هي كعبة اليسار والتقدمية فيما تماثيل لينين سقطت هناك كما تسقط في أوكرانيا اليوم.. لكن في الحقيقة نحن أمام يسار طائفي ينضح ما فيه بورطة جسدتها عمليات التدجيل التي كانت تقام أمام البنك المركزي وسط العاصمة السورية بأهازيج وحفلات رقص على موسيقى شكرا موسكو وبكين..

مقاتلون من الجيش الحر في مدينة حلب

بالمناسبة إلا تلاحظون بأن بكين خارج الصورة تماما منذ اعتقال عبد العزيز الخير؟ السؤال الأساسي: هل يدرك أصحاب شعار « شكرا موسكو» إلى أين تقود موسكو بلادهم؟ وقبل الإجابة أود لو يقدم لنا هؤلاء ولو مرة واحدة موقفا يشي بأن موسكو تعادي المشروع الصهيوني الذي يدعي هؤلاء بأن عراب دمشق يدفع ثمن معارضته له.. فهل مثلا بوتين الذي صلى في القدس بعد انتخابه معتبرا إياها « روح الشعب اليهودي» وهل مواقف ليبرمان واللوبي الصهيوني في موسكو معاد للصهيونية؟

أصحاب شعار «شكرا موسكو» ليسوا أقل قراءة منا نحن البسطاء لمصالح روسيا ومتاجرتها بالخردة لجيش يقتل شعبه بهذه الخردة.. وسوريا بالنسبة لهم ليست سوى تفصيل في الإستراتيجية القومية مثل ما هي بالنسبة لاستراتيجيي إيران الذين لا يهمهم كثيرا أن كان المرء شيعياً أو قوميا عربيا بمقدار مايقدم لهذا المشروع الفارسي الخالص.. ما أرادته موسكو من البداية يتظهر اليوم أكثر فأكثر. بالكاد أفهم كيف يقبل سوري يدعي بأنه « يساري وعلماني» وآخر يندمج في تمثيلية إقالته أن يحدد بوتين أو لافروف طبيعة الدولة السورية القادمة بعد أن بنيت إستراتيجية فاشلة لاستدعاء حلول تؤبد بقاء عائلة الأسد في الحكم كمشغل لمصالح متعددة في هذا البلد..

هذه الوقاحة الروسية لها سوق في صفوف معارضي بشار المشاركون في حكومته والذين يسمونهم « تحت سقف الوطن».. فالحل ببساطة بتطبيق سوريا وطرح نموذج لبناني عراقي في سوريا.. أي تطبيق كامل لسوريا عبر محاصصات لا علاقة لها بالانتقال أصلا من سوريا المأزومة إلى سوريا الانفراج بدولة يتساوى فيها مواطنيها..

ما يطرحه الروس هو وصفة تعمق الانقسام والتشرذم وترسخ العودة إلى حالة متأخرة في عمر الشعوب والدول.. سوريا ليست استثناءا في التنوع.. في روسيا ذاتها تنوع ديني واثني وقومي وبالرغم من ذلك ليست روسيا نموذجا لحكم مطيف فيه محاصصة.. لكن هذا الإصرار الروسي ليس روسيا فحسب، وتسويقه بلكنة روسية هو لحفظ ماء هذا الفشل الذريع لمراهنات معسكر « خلصت» ولبقاء الثورات العربية وربيع شبابها في قمقم أن لا تتحول الثورة السورية إلى نموذج للخروج من حالة التخلف التي صبغت تحكم لوردات حرب في لبنان بحياة اللبنانيين وراثة للمشيخات وبربطات عنق حيكت بدماء اللبنانيين وأشبه بدولة كانتونات طائفية يتحكم فيها توازنات السلاح والمناصب بالمكاسرة وتوظيف بالكوتا وقضاء يخص كل طائفة وكل أتباع ديانة ومذهب..

التهديد المبكر إذا بما سمي « دولة علوية» وارتكاب تطهير في مناطق معينة لم يكن عبثيا بل في السياق البديل لانهيار منظومة العصابة وتفرد عقل طولة الشبيحة في فرض واهم لانتصار إذا ما استدعي التطرف تارة من سجونه وتارة أخرى بما لدى طهران من علاقات في بغداد ليكون مشرعا حينها أن تلقي موسكو المنشفة في الحلبة وتقول: وجدتها! هل يريد السوريون من ثورتهم خلافة إسلامية؟ هل خرج السوريون الذين عاشوا في جمهورية الرعب الوراثية ليستبدلوها بجمهورية كانتونات طائفية؟ سؤالين لا يحق لموسكو ولا واشنطن ولا الرياض ولا تل أبيب ولا جماعات « لبيك يا حسين» ولا داعش ولا غيرها أن يجيبوا عليهما.. لقد أجاب السوريون والسوريات، وبمعزل عن تلك القوى التي قرأت في موسكو كعبتها، عن أنهم خرجوا في سبيل حرية وكرامة سوريا وشعبها وليس لأجل أعادة نظامهم السياسي بمنتج طائفي مذهبي يعيد تسويق لوردات حرب مناصفة بين تجار الطرفين.. من المعيب والمخجل حقا أن النخب السياسية السورية سواء كانت في صفوف ما يسمى معارضة تحت ظل بشار أو تلك التي تؤيد بشار صراحة أن لا تقرأ خطر وضع سوريا المستقبلي في تخييره بين استبداد فاشي وسوريا تعيش في ظل نظام متخلف يقوم على أساس الانتماء الطائفي والمذهبي الذي سيستدعي بناء مزيد من جدران العزل والفصل بين أبناء الشعب الواحد بممارسات واضحة الأهداف الآن بحيث يصير للسوريين طائفهم الخاص وإذا ما اختلفوا فإلى لوزان بعد جنيف والى بيروت أو عمان أو القاهرة.. أي إنتاج وتفريخ المزيد من الأزمات التي يعتاش عليها لوردات الحرب ومجرمين قتلوا وشردوا الملايين بحجة محاربة المؤامرة الكونية بينما هم أجراء في الواقع لدى المصالح الدولية..

قد يتساءل كثيرون، وهو أمر كان مكشوف منذ بدايته، لماذا تم ويتم اعتقال وتغييب كل نشطاء الثورة السورية ونفي من بقي منهم واغتيال من استطاعوا الوصول إليهم؟ الأجوبة تكمن في أن تواجه الثورة السورية هذا المخطط الذي يدل ويؤشر على انهيار مؤجل لعصابات عراب دمشق واستلام عراب طهران لزمام الأمر مناصفة مع موسكو وبفرحة عربية غربية وعلى رأسها واشنطن التي ترسل إشارات يظنها البعض بلهاء وهي تسأل: لماذا زادت نسب التطرف في سوريا؟

قد يبدو الثمن باهظا في دفع هكذا بناءات تراد لسوريا المستقبل، لكن لو فكر السوريون فيما بينهم بالثمن الذي سيدفعه مستقبل أبناءهم وبناتهم بظل نظام يستند على حلول طائفية لاكتشفوا بأن رفضه الآن أفضل مليون مرة مما سيحمله في المستقبل من أثمان.. وليس قدر السوريين أبداً أن ينتج لهم لا الأميركان ولا الروس مصيرهم الذي دفعوا أفدح الأثمان ليقرروه بأنفسهم..

عمر سليمان
يكسو سوريّا أم يعرّيها

■ إبراهيم الأصيل

صدمة عمر سليمان.. أن صح التعبير.. هي ما يبدو على وجوه العديد من السوريين أثناء تداولهم أخبار المهرجانات التي شارك بها المغنّي عمر سليمان في أوربا واستراليا ومشاركته بالغناء في حفل جوائز نوبل.

«سوّد وشنا» يقول أحد أصدقائنا.. ليعلّق آخر عليه «قال فن سوري قال»..

وفي خضمّ هذا لم أستطع أن أبعد سؤال يدور بإلحاح في رأسي؟ ما هي سوريّا؟ وما هو الفن السوري؟ ومن يستطيع أن يحدّد أن كان يليق بهذا الفنّان أو تلك الفنّانة أن يمثّلوا سوريا بفنّهم؟ بعيداً عن عمر سليمان الذي استمعت لأغانيه اليوم لأول مرة (وشعرت برغبة بالدبكة.. فمن الصعب أن أدبك على مقطوعات بيتهوفن)، أود أن أذكر عدّة نقط أراها مهمّة:

قبل أن تبدأ الثورة السورية، كنت أظنّ سوريّا أربع أو خمس شوارع في دمشق، لا أعني بالمعنى الحرفي، وإنّما بالمعنى «الوطني» أن صحّ التعبير، ورغم أن أكثر من نصف جذوري غير دمشقية، ولكنّ كانت عدّة شوارع في دمشق تعني لي كل سوريا، هي المكان الذي أحيا فيه وأقابل أصدقائي فيه، بالإضافة لبعض الأماكن التي أحب أن أقضي فيها بعض الإجازات، وكنت أظنّ أن تمثيل «سوريا» يليق فقط بمجموعة من الناس، وبلون معيّن من ألوان الفن، وبحزمة محدودة من الأدباء والكتّاب، أما من سواهم، فسوريا أكبر بكثير من أن يمثّلوها.

واليوم، بعد عامين ونصف من الثورة، بعد أن زرت مدناً ومحافظات لم أزرها في حياتي، علمت أن سوريا أكبر منّا جميعاً، وأنّنا ننكر سوريتنا، نفخر بدمشقيتنا، وبأحياناً أقل بحلبيتنا (بحالة صباح فخري فقط) وحمصيتنا (مالك جندلي فقط أيضاً)، وما عدا ذلك، فغالباً لا نعترف به، وبذلك عندما صرخنا «واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد» ربّما كنّا نحاول أن نصمّ آذاننا عن واقع مرير، أن الشعب السوري منقسم، وأنّنا عجزنا طوال العقود الماضية عن إنتاج هويّة سوريّة تجمعنا، بقيت سوريا لدى الكثيرين لوناً واحداً، وفنّها هو فن صباح فخري فقط، حتى ابن السويداء فهد بلان مثلاً، كثيراً ما كان عرضة للسخرية والاستهزاء وبأنّه فن لا يرقى لأن نقدّمه كفن سوري.

ما هو الفن السوري إذا؟ ما هي سوريّا؟ ما هي الثقافة السورية وما هو الجسد السوري الذي نرفض أن نسلّط الضوء على عينيه الجميلتين فقط.. خوفاً من أن يتّهمنا العالم بقبح ما تبقّى من ذاك الجسد؟

لنقف بشجاعة مع أنفسنا، زمن الإقصاء ولّى، من نحن؟ ماذا نريد؟ هل حقّاً نرغب بالعيش المشترك؟ إذا لنوقن أن الفن السوري هو كل فن يقدّمه أحد سوري، لا يملك لأحد أن يصنّف إنتاج السوريين فيقبل منه ويرفض منه، سواءً أأعجبه ذاك المنتج أم لا، لا يوجد من يقول عن أي مغني أو مغنية أميركية بأنّها لا تمثّل أميركا، فأولاً الإنتاج هو من إنتاج ذلك الشعب، لا أحد يمثل شعب، لا قصيدة ولا أغنية ولا رواية، وبذات الوقت، كل ذاك الإنتاج هو «سوري» ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك.

لن أخجل إذا ما سألني أحد عن عمر سليمان، نعم هو مغنّي شعبي سوري، ويغنّي لوناً من ألوان الغناء في سوريا، وأثارت أغنيته الرغبة بداخلي بالدبكة، لن أخجل بكل أجزاء الجسد السوري بعد اليوم، لن أحاول أن أدفن بعضي لأثبت للآخرين جمال بعضي الآخر، كل الشعوب تقدّم طيفاً واسعاً من الفن، من فن الشوارع إلى فن الصالونات، لا يحاولوا أن يجتمعوا ليمنعوا ظهور مغنّي لأغاني الشارع حرصاً على «بريستيجهم الوطني» لندرك أن لدينا هموماً أكبر، ونحن أمام وطن يتساقط قطعاً أمام أعيننا، هذا فعلاً ما يحزّ في قلبي..

أمّا من حيث «القيمة الحضارية» لأي أغنية، فهذا ليس مقياس شهرة أغنية، وكان أولى بنا أن ننكر السياق الشعوبي لكثير من جوانب حياتنا اليوم، وفي واقعنا اليوم أمثلة واضحة جداً، عن مشاهير على شبكات التواصل الاجتماعي لا تتعدّى كتابة ما يقدّموه قيمة الكهرباء التي صرفتها أجهزتهم أثناء كتابة ذلك، ولكن لأنّهم يقدّمون ما يلهب عواطفنا نتدافع بالإعجاب والنشر.. فلا تستغربوا شهرة أغنية تثير في الكثير من الناس الرغبة بالرقص، لنتوقف عن التفكير بأنّنا مجتمع من النخبة؟ فلسنا كذلك، كفانا خداعاً لأنفسنا، ولنقف أمام المرآة جميعاً.. كسوريين.. لنتعرّف على أنفسنا.. عراةً.. فقد أنهكنا الإقصاء والكذب.. وصورة عنّا ليست موجودة إلا في رؤوسنا..

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان

1994 - 1991

اليوم الخامس والعشرون 25 / 4

والده هو نمر عزيز من مواليد 1913، وجده هو «عزيز بربر حربا» أحد أكبر مساعدي الشيخ الثائر ضد الفرنسيين صالح العلي وخاض عزيز مع شيخه عدة معارك أشهرها معركة «عين فتوح». قبض عليه الفرنسيون وأعدموه عام 1922، واسمه مسجل في المتحف الحربي، أنه يحيى بن نمر بن عزيز بربر حربا من قرية (جيبول) الراقدة فوق الجبل مقابل بلدة جبلة ومقابل البحر الأبيض المتوسط.

قال يحيى موجهاً كلامه لي، ونحن جالسان في المطبخ: - والدي نمر لا يزال حياً، عندما أعدم والده لم يكن قد تجاوز التسع سنوات. ورث نولاً لنسج الحرير، كان يعمل عليه مع أمه. تعلم في قريته القراءة والكتابة، وتعرف على أمي عندما كانت تصعد مع أهلها من بانياس إلى الجبل لحمل خيوط الحرير إليه.

وهكذا تزوجا حوالي عام 1939، ويمضي يحيى يتحدث بتؤدة وبحب وإخلاص، هو رابع مولود بين أخوته وأخواته. سجن لأيام عام 1970 وسجن 9 أشهر عام 1971 - 1972، وها هو في السجن منذ أواخر نيسان عام 1982 يعاني من حساسية مفرطة في أنفه، يجعله عرضة لنوبات من العطاس المتواصل.

اليوم السادس والعشرون 26 / 4

الساعة الآن تقترب من السابعة صباحاً، بقعة من الشمس المستطيلة تدخل المهجع، فيشعر المرء بسببها بفرح الضوء.. وفرح الطبيعة.. وها هو صوت العصافير وهي تغني، بالمقابل هناك أصوات شاذة وقبيحة قادمة من داخل السجن حيث يجري الجلد الصباحي المعتاد لأفراد (البلديات) وهم أفراد من الجيش النظامي عوقبوا مسلكياً وأرسلوا للخدمة في السجون. يستيقظ سكان المهجع رويداً.. رويداً، الواحد تلو الآخر.

وعدنا مدير السجن أنه سيفتح أبواب المهاجع في الأيام القليلة القادمة وكانت قد أغلقت بسبب حرب الخليج.. في هذه الأيام نخرج إلى باحة التنفس لنرى الشمس كل نصف شهر.. ما زلنا نتناقل الأخبار، ونحلل.

فجأة وأنا أكتب هذه السطور وردنا خبر هام من المهجع الخلفي، أن مدير السجن هناك يقرأ أسماء الذين ورد إخلاء سبيلهم، بعد نصف ساعة توضح الأمر وتبين أن ثمانين اسما نزلوا إلى الساحة وصعدوا إلى الباصات، وغادروا السجن.

جميع هذه الأسماء من عداد حزب العمل، فحدثت ضجة وفرحة في مهجعنا وجناحنا. سمعت أن البعض بكى من الفرحة، ومن هذه الأسماء كاتب القصة القصيرة وائل السواح شقيق الباحث فراس السواح.

اليوم السابع والعشرون 27 / 4

بعد خروج هذا العدد من حزب العمل انقسمت الآراء، وقد تبلورت في رأيين: - رأي متفائل يعتبر ذلك بداية للإفراج ورأي متشائم يقول: أن هؤلاء استقالوا من الحزب وأعلنوا التوبة وراسلوا الحزب الشيوعي البكداشي كي يتوسط لهم لدى السلطة وأنهم يعلنون الولاء للحزب البكداشي وللجبهة الوطنية التقدمية وأنهم قد تابوا توبة نصوحا.

استمعت من إذاعة / مونت كارلو / إلى نص المقابلة التي أجريت مع فاروق القدومي أكد فيها:

1 - على الجو المتهافت والوضع السوفييتي شبه المتراجع.

2 - استمرار إسرائيل في بناء المستوطنات في الضفة الغربية، واستمرار الهجرة اليهودية لإسرائيل.

3 - فشل التسوية الأمريكية لأنها تهدف إلى اجتماعات ثنائية والتنكر للمؤتمر الدولي.

4 - أن الإنتفاضة ستزداد وتيرتها.

5 - الواقع العربي الرسمي غير مؤهل للدخول في صراع مع إسرائيل.

أن الصراع الصليبي – العربي استمر قرنين من الزمن، فهل الصراع مع الدولة العبرية سيستمر مثل هذا الزمن؟

اليوم الثامن والعشرون 28 / 4

أحاول الخروج يومياً من المهجع إلى الممر، صار الخروج ثلاث ساعات لكل خمسة مهاجع. أحسن علاج للسجين هي القراءة. أقرأ مجموعة قصص لتولستوي أعظم روائيي القرن التاسع عشر، القصص في كتاب صادر عن دار رادوغا في طشقند، يضم الكتيب ستة قصص وهي: / غاره / والفارسان / وثلاث ميتات / يوليكوشكا / والذراع / و / أسير القفقاس / ، الترجمة للروائي العراقي الطريد: غائب طعمة فرمان، والكتاب صادر عام 1986.

لغة الترجمة جميلة وانسيابية، عمق التحري والغوص في التفاصيل لا يبلغ مستوى المؤلف أحد في هذا العالم، أنسبت مع يوليكوشكا. أصوات السير في الممر تصلني.. هناك من يمشي لوحده وهناك من يمشي مع الجماعة.

اليوم التاسع والعشرون 29 / 4

قرأت مقالاً مكتوباً ورد من أحد الطوابق العليا، وهو لصديقنا أبو ماهر مسوتي من حلب، وعمره يقترب من الستين، يعاني بعض الإشكالات من جهازه الهضمي وشحاً في نظره، وقد تم استئصال قسم من معدته بسبب القرحة.

هو من المكتب السياسي، مختفٍ منذ عام 1976، حلّ في الحوار الجبهوي منذ خريف 1980 بعد اعتقال كل من رياض الترك وعمر قشاش وفايز فواز، واستمر في تخفيه وعمله الحزبي والجبهوي حتى اعتقل عام 1987 في حلب.

المقال حول حرب الخليج ونتائج هذه الحرب، وهو يحلل فيه النتائج التي حملتها هذه الحرب الأمبريالية العدوانية، ويرد فيه على من اتهم العراق ويحمله المسؤولية، كما يعدد نقاط النظام الدولي الجديد التي تعود على المنطقة بالويل، كما يشير إلى انتهاء منظمة الأمم المتحدة من خلال سيطرة الولايات المتحدة عليها. قرأت المقال وأخذته إلى محمد الحاج أبو هلا تحدثت معه عن أيام تكوُّن التجمع ورؤية أبي ماهر وغيره كجمال الأتاسي وعبد القادر عياش..

محمد الحاج من قرية تل التوت ولكنه من والد من أصل لبناني من بيت الحاج من الجنوب اللبناني. اعتقل في لبنان وحاول الهرب فأطلقوا عليه النار فأصيب برجله ولازال يعرج. شربنا متّة ودخنّا، وانضم إلى حلقتنا عبد الكريم الضحاك وهو حقوقي من السلمية يعاني من شبه عماء في عينه اليمنى، ثم حضر وانضم إلينا محمد الجندي أبو وضّاح، حدثنا عن زيارته وعن أم وضاح وعن القرية / أم ميل / وعن السلمية وعن وعن.. أبو وضاح موظف في مصلحة الدخان، خريج فلسفة، وكان قديماً نقيب في سلاح الهجانة.

اليوم الثلاثون 30 / 4

في آخر الممر أجلس وأقرأ في قصص تولستوي، وكذلك أقرأ في كتاب يحتوي ثلاث محاضرات لعالم النفس الشهير ك غ يونغ بعنوان: / الدين في ضوء علم النفس / ترجمة نهاد خياطة، دار العلم عام 1988 – دمشق. يتبين لي أنه منذ القديم هناك صراع بين العاطفة والعقل، بين الدين والمنطق، بين الخيال والواقع، بين العقيدة والحرية، ويونغ يدلي بدلوه العلمي في مجال معتقدات الإنسان.. أن الإنسان يبدو أنه لا يمكن أن يكون عقلاً خالصاً.. أن التفكير في بلادنا محاصر، بسبب تراكم الأوهام التي حلت محل التفكير.. حكام هذه البلاد هم أكبر عقبة أمام التفكير الحر.

أحمد فؤاد نجم 1926 - 2013

■ ياسر مرزوق

عم نجم والشيخ إمام

كتب الأديب الفرنسي الكبير « أرجون » في مقدمته للترجمة الفرنسية لديوان الشاعر الكبير « بابلو نيرودا »: « اسبانيا في القلب »: « كم أتمنى أن تبلغ هذه الترجمة قلوب الذين قدوا من صخر، أن فيه هذه القوة التي تسقط الأسوار بالغناء « هذا شعر نجم ففيه من القوة التي تسقط الأسوار بالغناء.

وجوه من وطني اعتادت الاحتفاء بوجوهٍ سورية لكن اليوم استثناء بقدر ما كان المحتفى به استثناءً، العم أحمد لطالما حل ضيفاً على صفحاتنا بأشعاره واليوم تحتفي سوريتنا بثائرٍ من قماشةٍ خاصة غيبه الموت قبلَ أن يرى الورد للي فتح بجنابن مصر، ولا الطاووس بجمال ريشه وحلاوته.

ولد أحمد فؤاد نجم لأم فلاحة أمية من الشرقية « هانم مرسي نجم » وأب يعمل ضابط شرطة « محمد عزت نجم » وكان ضمن سبعة عشر ابناً لم يتبق منهم سوى خمسة والسادس فقدته الأسرة ولم يره نجم إلا في السجن بعد سنوات على ولادته، التحق بعد ذلك بكتّاب القرية كعادة أهل القري في ذلك الزمن. وأدت وفاة والده إلى انتقاله إلى بيت خاله حسين بالزقازيق حيث التحق بملجأ أيتام 1936، روى نجم أنه ظل فيه تسع سنوات حيث التقى بعبد الحليم حافظ الذي أنكره عندما غدا نجماً غنائياً معروفاً.

عام 1946 عاد نجم إلى قريته ليعمل راعياً وعمل بعدها في عدة أماكن من بينها العمل في معسكرات الاحتلال البريطاني. وخلال عمله في مدينة فايد تعرف على عمال المطابع الذين يميلون إلى الفكر الشيوعي فتأثر بهم وكانت وراء مشاركته مع الآلاف من المصريين في تظاهرات عام 1946.

وقد مر التكوين الشعري لنجم بثلاث مراحل، في المرحلة الأولى بدء شاعرنا بخوض المعترك السياسي باكراً وهو ما زال يافعاً لا يتمتع بأي نضج سياسي سوى حس ثوري رافض لكل أشكال الزيف، ثم ارتبط فكرياً بالمد الثوري الذي بدأ يتعاظم بعد ذلك، وخلال عمله في سكة الحديد بعد ثورة 23 تموز 1952 اصطدم للمرة الأولى مع السلطة عندما انحرفت ثورة عبد الناصر عن أهدافها أمام عينيه وهاله حجم الفساد والنهب المنظم الذي مارسه ضباط الثورة، الذين كانوا يستولون على المعدات المصادرة من معسكرات الاحتلال الانكليزي. ويبيعونها في السوق السوداء وانتهى في السجن عام 1959 بتهمة المشاركة والتحريض في المظاهرات التي حصلت نتيجة الصدام بين السلطة واليسار على إثر أحداث العراق.

وقال نجم في مقابلة معه عن تلك الفترة: «بدأنا عملية نقل المعدات، وشهدت في هذه الفترة أكبر عملية نهب وخطف شهدتها أو سمعت عنها في حياتي كلها. أخذ كبار الضباط والمديرون ينقلون المعدات وقطع الغيار إلى بيوتهم (..) فقدت أعصابي وسجلت احتجاجي أكثر من مرة (..) وفي النهاية نقلت إلى وزارة الشؤون الاجتماعية بعدما تعلمت درساً كبيراً، أن القضية الوطنية لا تنفصل عن القضية الإجتماعية. كنت مقهوراً وأرى القهر من حولي أشكالاً ونماذج (..) كان هؤلاء الكبار منهمكين في نهب الورش، بينما يموت الفقراء كل يوم، دفاعاً عن مصر».

المرحلة الثانية كانت اهتداؤه إلى أعمال بيرم التونسي وحبيب حداد التي أحدثت انقلاباً فكرياً عنده وكانت سبباً في نزوعه واهتدائه إلى الفن الشعبي الحقيقي، والمنقذة من متاهات ثقافة التخدير والاستهلاك السائدة، فشاعرنا لم يكتب قبلاً سوى قصائد عاطفية، ولم يخرج من السجن بعد ثلاثة سنوات من الاعتقال إلا وكان ديوانه الأول قد ولد مع تحوله الفكري هذا، وقد كانت هذه تمهيدات ضرورية لعملية نضوج فكره السياسي والأدبي، وخلال فترة سجنه أصدر أول ديوان شعري له بعنوان «صور من الحياة والسجن» من خلال مشاركته في مسابقة كان ينظمها المجلس الأعلى لرعاية الأدب والفنون وتبنته الكاتبة المصرية سهير القلماوي وبعد خروجه من السجن أصبح من شعراء الإذاعة المصرية.

وكانت الحلقة الأخيرة هي لقاؤه بالشيخ إمام عام 1964 وهي المرحلة الثالثة في عملية تكوين ونضوج الأغنية السياسية عند نجم – إمام، والشيخ إمام قبلاً لم يكن أكثر من مغنٍ فقير يؤدي ألحان سيد درويش والشيخ زكريا أحمد ويعيش في حي الغورية وهي منطقة أثرية شعبية في القاهرة، وكان لقاء الشاعر والمغني تفاعلاً فكرياً للاثنين أعطى نتاجاً غزيراً في مضامينه وعفويته وصدقه، وشكل الاثنان وحدة عضوية فنية، أعطت فناً شعبياً ليكون الناطق باسم الكادحين والمعبر عن آمالهم في الوطن العربي عامة، ومصر خاصة، أن أعمال نجم - إمام ذات دلالة بالغة فهي تكسر طوق الاقليمية والمحلية، وتكرس وحدة القهر والتخلف التاريخي الذي تعاني منه مجتمعاتنا العربية عامة.

أما على صعيد القالب الشعري فيقول نجم أن العامية المصرية هي سمة مصرية بامتياز، فالعامية المصرية ليست لغة وهي ليست لهجة، بل روح مصرية ترقى لأن أهم إنجاز حضاري مصري.

وإذا كانت هزيمة حزيران 1967 قد أثرت بشتى الأشكال على واقعنا الاجتماعي وغيرت الكثير من الحسابات السابقة السياسية في الوطن العربي، فإن الأدب جاء ليلعب دوراً بارزاً في تحديد هذه الأشكال الممثلة لتيارات مختلفة في الفهم السياسي لطبيعة الأزمة وخلفياتها وأسس حلها وتجاوزها، فقد تمحورت هذه التيارات في اتجاهين رئيسيين، اتجاه يبرر الهزيمة متخذاً لنفسه درعاً واقياً من التبريرات الغيبية التي ما زالت تنفع إلى حد كبير في عالمنا العربي، واتجاه آخر معاكس انسلخ تماماً عن هذا الفكر الانهزامي « أغنية بقرة حاحا مثلاً »، كانت أغنية بقرة حاحا، كما يقول الكاتب صلاح عيسي في كتابه «أحمد فؤاد نجم.. شاعر تكدير الأمن العام» والتي كتبت في 8 يونيو 1967، أول بيانات الرد على الهزيمة، فيما كانت أغنية «الحمد لله خبطنا، تحت بطاطنا» بعد أن اتضح حجم الهزيمة، أول البلاغات الحربية التي صدرت من غرفة عمليات «حوش قدم» كما علق هو بنفسه ذات مرة. وحاول قدر المستطاع أن يضع النقاط على الحروف ويرسم بخطوط عريضة الحقيقة المرة غير عابئ، بما قد يجره عليه هذا النهج الصريح من قمع سلطوي ومحاربة الأجهزة له.

اتخذ انتاج نجم إمام مكاناً بارزاً في الاتجاه الثاني ناصباً لنفسه مهمة أساسية هي فضح حقيقة الطبقات والفئات الممثلة للنظام والكشف عن وجهها البشع وزيف ادعاءاتها في تمثيل الجماهير والحكم باسمها.

كانت قصيدة « غيفارا مات « نقطةً أوصلت الاثنين إلى عالم الشهرة بين أوساط الطلاب والعمال والمثقفين بعد أن غيبهم الإعلام الوطني بدعاية لا بأس بها، وهنا بدأ الصراع المكشوف مع الأجهزة الأمنية فأغانيهما بدأ تأخذ حجمها في تسليح الطلاب والعمال بفن قادر على التعبئة والكشف والتثقيف وبالتالي يشكل هذا خطراً على السلطة ونهجها، فكان لا بد إذا من محاربته بعد ذلك جاءت أحداث مظاهرات 1969 - 1968 لتؤكد على قدرة هذا الفن على لعب دور أساسي في المظاهرات وكان لا بد للاثنين أن يلقيا عقاباً صارماً من قبل السلطة فسجنتهما مدة ثلاث سنوات كتب فيها نجم انضج قصائده ولحن الشيخ إمام العديد منها.

بعد خروجه من السجن عام 1971 عاد إليه مجدداً إثر أحداث عام 1972 ومظاهرات الطلاب وذلك بتهمة التضامن معهم وبالمقابل انتشرت أغنيات خلال تلك الفترة كالنار في الهشيم، ورددها طلاب الجامعة في تظاهراتهم والمثقفون في جلساتهم، وطارت إلى أنحاء الوطن العربي في حفلات للثنائي بعدة أقطار عربية.

كانت قصائد نجم أكثر انتقاداً للسادات تحديداً، وتقاطرت بغزارة في تلك الفترة منتقدة الانفتاح الاقتصادي والاتجاه الرأسمالي اليميني الذي انحرفت إليه مصر بعد اشتراكية «عبد الناصر»، يذكر أن انتقادات نجم للسلطة في عهدي حسني مبارك ومحمد مرسي، استمرت من دون أن يتعرض للسجن في أي من العهدين، كما كانت آخر تصريحاته السياسية تدعو الفريق أول عبد الفتاح السيسي، وزير الدفاع وقائد الجيش، إلى عدم الترشح للرئاسة، وتهاجم جماعة الإخوان المسلمين، وتبشر بـ«ثورة ثالثة» في مصر.

وفي آب 2007 اختارت المجموعة العربية في النداء العالمي من أجل مكافحة الفقر نجم ليكون ناطقا في المحافل الدولية باسم فقراء العالم العربي وسفيرا لفقراء العالم إلى جانب الزعيم الإفريقي نلسون مانديلا، وبمناسبة اختياره قال نجم بسخريته المعتادة أنه سيشكل حكومة عالمية من وزرائها السيد المسيح وعلي بن أبي طالب القائل «لو كان الفقر رجلا لقتلته» وأبو ذر الغفاري القائل «إذا جاع أحد فلا أمان».

شارك نجم في تأسيس حزب المصريين الأحرار، وتزوج عدة مرات، أولاها من فاطمة منصور التي أنجب منها عفاف، وأشهرها زواجه من المطربة عزة بلبع، والكاتبة صافيناز كاظم التي قالت عنه: «أنا أفهم نجم أكثر مما يفهم نفسه، فنه من النوع الغريب الممتع وقد تزوجته من باب الفداء، قلت هذا الرجل يستحق أن افديه ولذلك سميت زواجي به عملية استشهادية، وأنجب منها الصحافية والناشطة السياسية نوارة نجم، كما تزوج بممثلة المسرح الجزائرية الأولى صونيا ميكيو. وكان زواجه الأخير من السيدة أميمة عبد الوهاب التي أنجب منها زينب، ولديه 3 أحفاد من ابنته من زواجه الأول عفاف، هم: مصطفى، صفاء وأمنية.

في الثالث من هذا الشهر غيب الموت العم أحمد عن عمر ينأهز الـ84 عاماً بعد قصة حياة وكفاح بين السجون، وشيع جثمان الشاعر الكبير بمسجد الحسين وحضر تشييع الجثمان جلال السعيد محافظ القاهرة ونوارة نجم نجلة الفقيد ومحمد ابو الغار والكاتب بلال فضل والشاعر زين العابدين فؤاد والناشر محمد هاشم وعدد من المثقفين والفنانين وعدد كبير من الناس البسطاء وأهالي هذه المنطقة الشعبية التي طالما شهدت انطلاقة أشعاره بصوت تؤامه المطرب المصري الشيخ أمام.

وقد أصدر حزب المصريين الأحرار بياناً نعى فيه الفقيد وقد جاء فيه: أن «أحمد فؤاد نجم الذي كتب في انتفاضة طلاب السبعينيات لـ «الورد اللي فتح في جناين مصر»، والذي أشعلت أشعاره حماسة شباب 25 يناير و30 يونيو سوف يبقى دائماً رمزاً عظيماً وملهماً لنضال الشعب المصري ضد قوى الظلم والظلام والإرهاب، وسوف يبقى اسمه مع رفيق نضاله الشيخ إمام عيسى محفوراً في أعظم صفحات تاريخنا الوطني».

وأصدرت الجامعة العربية بياناً نعى فيه الأمين العام نبيل العربي فقيد مصر والعالم العربي، الشاعر الكبير الراحل أحمد فؤاد نجم الذي أثرى الحياة الثقافية المصرية بأشعاره العامية التي عبرت عن الروح المصرية الأصيلة ووقفت ضد الظلم والطغيان على مر العصور.

وقال العربي: «أن «نجم» سيظل علما من أعلام شعراء العامية المصرية ورمزا للنضال والكفاح على مر السنين.

وفي آخر أشعاره كتب أحمد فؤاد نجم كلمات قليله كأنها الوداع لمصر التي أمضى سنوات حياته في سجونها وفي تظاهرات غضبها قائلاً:

كل عين تعشق حليوة
وأنت حلوة في كل عين
يا حبيبتي أنا قلبي عاشق
واسمحيلي بكلمتين
كلمتين يا مصر يمكن
هما آخر كلمتين
حد ضامن يمشي آمن
أو مـ آمن يمشي فين

قال أحمد فؤاد نجم في آخر لقاء سجله: أنه رغم الخبط اللي أخده المصريين على دماغهم ها يرجع الشعب المصري تاني زي الطاووس بجمال ريشه وحلاوته، ووصف الشعب المصري في آخر لقاء له بالمبدع.

إجازة القانون (1)

تحتوي المادة 185 من قانون العقوبات السوري على أحكام إجازة القانون وتعتبر هذه الإجازة عند وجودها سبباً لتبرير الفعل المجاز، ونصت المادة آنفة الذكر على ما يلي:

- لا يعد الفعل الذي يجيزه القانون جريمة.
- يجيز القانون،
- أ، ضروب التأديب التي ينزلها بالأولاد آباؤهم وأساتذتهم على نحو ما يبيحه العرف العام
- ب، العمليات الجراحية والعلاجات الطبية المنطبقة على أصول الفن شرط أن تجرى برضى العليل أو رضي ممثليه الشرعيين أو في حالات الضرورة الماسة.
- ج، أعمال العنف التي تقع أثناء الألعاب الرياضية إذا روعيت قواعد اللعب

التأديب:

لا يؤدب في القانون السوري إلا الأولاد، ولا يؤدب الكبار أو الزوجة ويقصد بالأولاد، القاصرون الذين هم في حاجة إلى الرقابة ولم يبلغوا الخامسة عشرة من عمرهم، ويؤدب هؤلاء من قبل آبائهم وأساتذتهم، وهذا التأديب مبرر شريطة أن يكون في حدود ما استقر عليه العرف، والتأديب المبرر هو الضرب البسيط الذي لا يحدث كسراً أو جرحاً، ولا يترك أثراً ولا يخلف مرضاً، وصاحب الحق بالتأديب هو الأب أن وجد، أما في حال عدم وجوده فيحل محله ولي النفس من عم أو جد أو أم، وكذلك التأديب من حق الأستاذ، وهذا الحق يكون له وقت وجود الولد في المدرسة، والأستاذ يمكن أن يكون معلمه في الصف أو في الحرفة، طالما يقع عليه واجب رقابته والإشراف عليه وتعليمه، إلا أن إجازة القانون تنعدم إذا أورد المشرع نصاً خاصاً على تحريم الضرب، كما هو الحال في المدارس الحكومية في سوريا، حيث يمنع الضرب أو إنزال العقوبات البدنية بالطلاب منعاً باتاً

التطبيب:

والتطبيب في كل الشرائع من الأفعال المباحة، فإعطاء الطبيب للمريض مخدراً أو إجراء عملية جراحية له، أو بتر عضو من أعضاءه، أفعال يجيزها القانون، حتى ولو أدى التطبيب إلى موت المريض أو إصابته بالضرر، إذا كان الطبيب قد التزم قواعد الفن الطبي ولم يرتكب خطأً فاحشاً في عمله، ولكن التطبيب لا يباح إلا إذا استجمع الشروط التالية:

أولاً:

أن يكون الفاعل طبيباً ومرخصاً له بمزاولة المهنة: أي أن يكون الفاعل حاصلاً على شهادة معترف بها في بلد التطبيب، وأن يحصل فوق ذلك من السلطة المختصة على ترخيص بمزاولة مهنة الطب.

ثانياً:

أن يكون التطبيب بقصد العلاج: أي أن يستهدف شفاء المريض من علته، أما إذا كان التطبيب بدافع آخر، كالقتل بدافع الشفقة، فلا يعد الفعل مباحاً حتى لو تم برضاء المجني عليه، وقد ثار خلاف في الفقه والقضاء حول ما إذا كانت عمليات التجميل ونقل الدم وزرع الأعضاء والتعقيم والإجهاض من أسباب التبرير، إذا تمت بقصد العلاج، وتخرج عنها إذا أهدرت مصلحة الجسم أو تمت لغايات غير علاجية، فعمليات التجميل من أسباب التبرير عندما يقصد بها العلاج الجسدي أو العلاج النفسي، كإزالة تشويه واضح في الوجه أو اليدين، أو إصلاح آثار الحروق أو الجروح، وقد قبل الفقه عمليات التجميل التي تجري في الوجه إذا كان في تحسينه تحسين لحالة المريض النفسية.

ثالثاً:

أن يكون عمل الطبيب منطبقاً على أصول الفن الطبي، أي أن يبذل الطبيب الجهود اللازمة والكافية المتفقة مع الأصول العلمية في معالجة المريض أو إجراء العملية الجراحية، وأصول الفن تستمد عادةً من النظريات العلمية السائدة، ولكن هذا لا يعني أن الطبيب يرتكب خطأً إذا أخذ بنظرية علمية ما تزال محل خلاف بين العلماء، فهو يتبع أصول الفن الطبي إذا كانت النظرية العلمية معروفة، وكان هو مقتنعاً بها وكان يرمي من وراء الأخذ بها شفاء المريض لا القيام بتجربة علمية، ولا يعتبر فشل العلاج أو العملية الجراحية قرينةً على أن عمل الطبيب لم يكن منطبقاً على أصول الفن الطبي، فالتزام الطبيب نحو المريض هو التزام بعناية وليس التزاماً بغاية، أي أنه ملتزم بأن يقدم خبرته للمريض ويسعى في علاجه، ولكنه غير ملتزم بشفائه.

رابعاً:

أن يحصل الطبيب على إذن المريض، فهو من حيث المبدأ لا يحق له التدخل حيال المرض أو الإصابات إلا إذا أذن له المريض بذلك، وإذا كان المريض في حالة يتعذر معها أخذ رضائه فيكفي أخذ رضاء وليه، وفي جميع الأحوال فإن من واجب المريض أن يشرح للمريض نوع العلاج ونتائجه ومضاعفاته، لكي يتمكن المريض من بناء رضائه على أساس سليم، ولا يمكن الاستغناء عن إذن المريض إلا في حالات الضرورة الماسة، كأن يكون المريض في حالة إغماء، وتستدعي حالته التدخل السريع لإنقاذ حياته.

إلا أن هناك بعض الحالات التي يتدخل فيها الطبيب رغم ممانعة المريض، ومع ذلك لا يسأل عن فعله، والمستند في عدم المسؤولية لا تكون إجازة القانون وإنما سبب آخر غيره، كأداء الواجب أو حالة الضرورة، فتدخل الطبيب في حالة انتشار الأوبئة والأمراض السارية رغم عدم رضاء المريض، يبرره أداء الواجب بتنفيذ نص قانوني، أو تنفيذ أمر صادر عن السلطة، كما أن الطبيب يمكنه أن يتدخل رغم ممانعة المريض، إذا كان الأخير في حالة تستدعي العجلة لإنقاذ حياته، وهنا لا يستفيد الطبيب من إجازة القانون بل يعد في حالة ضرورة يمتنع معها عقابه.

تعترف بالمؤامرة الكونية

هنادي زحلوط: يجب محاسبة الحرّ والنظام والإعلاميين

■ عامر محمد - دمشق

"في المخابرات الجوية اقتادوني إلى غرفة مظلمة وباردة، عيناي مغمضتان ويداي مقيدتان، تلك الليلة كانت عشية مظاهرة المزة الشهيرة، دخلت فتاتان، قصيرة وطويلة، أذكر الآن أنهما تشبهان بنات الليل، سألتاني من أين أنت؟ عندما قلت من اللاذقية، بدأتا بتمزيق ثيابي بالسكاكين، ولمستاني بطريقة مقززة، ثلاثة أيام لم أنم فيها بعد ذلك، كنت أرتجف فقط، كان قتلي تلك الليلة ممكناً وبسيطاً، ولن يعرف أحداً ما الذي حدث لي" هذه صياغة خاصة لقصة من مجموعة نصوص في كتاب هنادي زحلوط القادم.

قبل أن يعرف معظمنا الحياة مع الاسم المستعار، عملت هنادي زحلوط باسم مستعار "هيام جميل" منذ عام 2008، فكتبت مقالات ونصوص اخترقت حينها خطوطاً حمراء، وفيما تنتظر إصدار كتابها الأول "إلى ابنتي" الذي خصصته لنصوص كتبتها عن فترة اعتقالها، تهتم زحلوط الكاتبة والناشطة أيضاً، بالعمل على منظمة جديدة تعنى بمراقبة الأداء العام لكافة المؤسسات السورية حديثة الظهور وتحديداً ائتلاف قوى الثورة والمعارضة، المُكرمة من وزارة الخارجية الأمريكية، رفضت دعوة وجهت لها للمشاركة في مؤتمر جنيف اثنان، وتهتم كثيراً بتحقيق المحاسبة لجميع أطراف مأساة البلاد.

"قادرة أكثر على الكلام" تصف هنادي التغيير الذي أحدثته الثورة في البلاد عليها، رغم أنها خسرت العلاقة مع أهلها "كنت أتوقع ذلك، فحين سيعرفون وجهي الحقيقي الذي لا يحبون سيحدث ما حدث، لم أعد قادرة على مواجهة هذا الاختلاف بين قيمي وقيم العائلة" لا تعذرُ هنادي من يقفون بوجه الثورة رغم أنها تفهمهم لأنها ابنة ذات البيئة "اللاذقية" التي تقدس "القائد الخالد، والصحة والمجانية والآمان" لكنها لا تعذرهم لأن خوفهم وحبهم للفترة السابقة من تاريخ البلاد "حرمنا حتى من وجودهم معنا ونحن نواجه الثورة الثانية بعد الثورة الأولى" لحظة خروج زحلوط من سوريا لا تزال تؤلمها حتى الآن، "عام ونصف من الألم" تضيف زحلوط.

لا توافق زحلوط على أن الثورة قد سرقت، وتعطي أمثلة على ذلك "سراقب، كفرنبل، الصحافة الحرة التي لا تزال تحاول، شخصيات مثل فائق المير ورزان زيتونة وياسين الحاج صالح" كلها أدلة على أن الثورة لم تضع ولم تسرق، لكنها تؤكد وجود "مؤامرة كونية"، فالنظام المجرم يلعب بجميع الأوراق اليوم بشكل ماهر "أنا موقنة أن داعش هي من أدوات النظام" لكن هل نحن نستطيع نحن المواجهة؟ تسأل هنادي وتخصُ إعلام الثورة الذي ترى أنه لم يقدر على مواجهة إعلام النظام في قضية مثل "جهاد النكاح" فكذبة مثل هذه تُثبتُ أن إعلام الثورة مقصر ومقصر جداً في التصدي لها، وترى أن لا إعلاميين يعملون بالشكل الصحيح على قضية محقة وكبيرة كالثورة في سوريا، وتستطرد هنادي أن الكثير من الإعلاميين المنشقين يقولون بعد أن يغادروا سوريا مثلاً "نريد راتب لا يقل عن أربعة آلاف دولار" علماً أنهم كانوا متطوعين في الداخل، لا تفهم هنادي هذا الموقف، رغم أنها تؤكد أن هناك من يعمل من الخارج لأجل الثورة، وهناك من نام في الحدائق والمترو في العاصمة الفرنسية، "لازلت تستطيع أن ترى هذا حتى اليوم في باريس" والحاجة لميثاق شرف إعلامي هو ما تؤكد عليه زحلوط، لكي تُغيّب المصطلحات الطائفية التي ظهرت في الإعلام، أو الأعلام السوداء التي تظهر في الفيديوهات القادمة من سوريا لإظهار التسامح في الثورة، لا زرع الرعب في أوربا.

هل انتصر النظام؟ نسأل هنادي زحلوط، فتجيب بثقة أن الأكثرية مع الثورة وليست مع النظام، لكنه نجح رغم هذا في جعل مؤيديه كتلة واحدة متماسكة "وصول النظام إلى جنيف وجلوسه على الطاولة، ستكون خسارة كبيرة تحول المجرم إلى صانع سلام، وهنا يظهر الإحساس بالخسارة" زحلوط التقت بمسؤولين غربيين في الفترة الأخيرة قالوا لها "أن الذهاب إلى جنيف بشرط رحيل بشار الأسد" رغم أنها لا تصدق ما يقوله الغرب الذي لم يُقدم على رد فعل حقيقي على مجزرة الكيماوي مثلاً، وهذا ما قالته في كلمتها أثناء تكريمها في الخارجية الأمريكية، فالسوريين لا يقتلون فقط بالكيماوي، وتقول "لم نستطع حماية احد من المعتقلين السلميين في البلاد".

كانت لمرة الثانية التي اعتقلت فيها زحلوط، إثر نشاطها في المركز السوري للإعلام وحرية التعبير، هنا تتحدث عن علاقتها مع مازن درويش، الذي لا يزال معتقلاً لدى النظام حتى اليوم، تدعوا له اليوم هنادي وهو أكثر شخص تفكر فيه، تتمنى له السلامة، وترى "أنه خسارة كبيرة لنا جميعاً" فدرويش هو الوحيد في الثورة وما قبلها الذي تمكن من إنشاء منظمة مستمرة، ورغم الكثير من الإغلاق والملاحقة بقيت منظمته تعمل على المجتمع المدني بشكل احترافي "اعتقل لأنه قادرٌ على أقناع الجميع بضرورة التغيير في البلاد، وهذا يشكل خطراً على النظام".

كثيرة هي الانتقادات التي وجهت لزحلوط بعد تكريمها في الخارجية الأمريكية، كان منها حول الفكرة بذاتها فهذه "الخارجية الأمريكية" ومنها أيضاً ما قالته أثناء التكريم "أن النشطاء من الأقليات في سوريا ينالون عقوبة اكبر مِمَن ينتمون للأكثرية السنية" زحلوط ترى أن التكريم لم يكن لشخصها بل للثورة، فلو لم يكن هناك ثورة لما كانت زحلوط، ولولا النشاط السلمي لما وجدت نفسها ونشاطها، وحين كُرمتْ قدمت الجائزة لأطفال سوريا، وتنفي أن تكون كمَا يروج قد تقاضت مبالغ مالية بشكل شخصي، بل هي أموال ووعود بدعم مشاريع خاصة بالأطفال، والمخاطر التي يتعرضون لها اليوم "هذا ما طلبته من الخارجية الأمريكية" هناك الكثير ممن يتخيلون أنك حين تقابل أحداً من المسؤولين الغربيين فهذا يعني أنك تتقاضى الكثير من المال، ثم تشير للقارئ "إذا أردتم التأكد فهناك صفحة على الانترنت خاصة بالمنح التي تقدمها الخارجية تعرض فيها كم دفعت وبالأسماء الكاملة، أنظروا لأحد الناشطين وهو معروف جداً وقد تقاضى الملايين؟".

تعمل هنادي منذ خمسة أشهر مع "لؤي الزرير" وهو ناشط يعمل في الظل على مشروع مراقبة "الائتلاف الوطني السوري لقوى الثورة والمعارضة" وذلك للمطالبة بحضور جلسات الائتلاف جميعها، وتبيان ماذا حقق من أهدافه المعلنة ومطالبته بالشفافية، بدء من الحضور والغياب عن الجلسات، وكيفية اتخاذ القرار والكشوفات المالية وغير ذلك في كل شؤون الائتلاف "لكي يكون الائتلاف مؤسسة والحكومة المؤقتة حقيقة، واللجنة التي ستذهب إلى جنيف مخولة ومعروفة المطالب، وقد بدأ جمع التواقيع على عريضة خاصة" وسيجري حفل توقيع مع الائتلاف على العريضة "وقد أظهر الائتلاف تعاوناً حتى الآن، ونحن نسعى لاستمرار هذا التجاوب والتعاون، وفي حال توقف فأننا سنقول للعلن ذلك، أي أين تجاوبوا وأين لا" الفكرة تقول زحلوط تنطلق من أن الشعب السوري يستحق أن يمتلك مجتمع مدني حقيقي.

وجهت الخارجية الأمريكية دعوة إلى زحلوط للمشاركة في جنيف لكنها رفضت المشاركة لأنها لن تشارك في مؤتمر غامض وضبابي ولا ترى أنه من حق أحد أن يمثلها إذا كان المؤتمر بهذا الشكل، "إذا كان المؤتمر ينص على رحيل ومحاسبة هذا النظام كله وليس بشار الأسد فقط، فإن أياً كان سيمثلني" وترفض زحلوط مقولة أن الناس تعبت وتريد حلاً "أم الشهيد لن تجلس مع قاتل أبنها على ذات الطاولة" توقف القتل مع بقاء النظام وأجهزة الأمنية أمراً ترفضه زحلوط لأن هذا يعني الرجوع إلى الوراء "الناس تتعب ولا تنسى والثورة ستكمل طريقها" وتركز على المحاسبة أثناء حديثها، فالذهاب إلى جنيف يجب أن يكون تحت عنوان واضح وليس لإيقاف القتل، "اليوم نحن ندفع ثمن جرائم الماضي كحماة مثلاً ولا نريد أن نعيد هذا" المحاسبة يجب أن تطال الجميع برأي زحلوط "النظام والجيش الحر وحتى الإعلاميين في الثورة الذين حرضوا طائفياً".

حين ستعود هنادي زحلوط إلى سوريا ستزور قبر والدها، وستصطحب والدتها إلى السوق كما اعتادتا خلال سنوات خلت، وفي أحلامها اليوم ترى أنها فقدت والدتها وهي لا تزال بعيدة عنها، الاتصال بينهما لم ينقطع لكنه انقطع، فقد أصبح مؤلماً، بالذات حين تقول لها عبر الهاتف أن تعود لأن البلد بأمان، ترى هنادي أن والدتها تعرف كل شيء، تعرف ماذا يحدث في سوريا جيداً لكنها أم تخاف على ابنتها كأي أم أخرى.

مشهور في اسطنبول

■ نوار قاسم

أغلق الباب ورائي بهدوء ثم تنطلق السيارة نحو وجهتها مسرعة، يسألني السائق بلغة إنكليزية ركيكة: "من أين أنت؟".

أصفن قليلاً، أعب من سيجارتي بعمق، ثم أجاوب بلغة إنكليزية ركيكة أيضاً: "أنا من إسبانيا".

ثم يعاود السائق سؤالي: "وماذا تفعل هنا في إسطنبول؟".

أجاوب: "إنني هنا مع فرقتي الموسيقية"، ثم أنتظر أن يسألني عن آلتي الموسيقية التي أعزف عليها.

تأخر السؤال عدة ثواني، وبسبب خوفي من انتهاء الحديث باكراً بادرت بالقول دون انتظار سؤال منه "أنا أعزف على الساكسفون".

ثم استفضت بالحديث عن الموسيقا والبلدان التي زرتها والجميلات ومشاكل الشهرة دون أن انتظر منه سؤالاً آخراً.

أستمر بحديثي حتى نصل إلى المكان المطلوب، ثم أسحب جزداني من جيبي وأدفع له أجرته مع بخشيش جيد فأنا عازفٌ مشهور.

في الحقيقة لم أحس يوماً بالضيق من دفع هذا النوع من البخشيش - على عكس سواه - فهذا من حق السائق لأنه كان منصتاً جيد لكذبتي هذه، ورغم قلقي الدائم من وقوعي في فخ طمع السائقين في المناطق التي أجهلها والتي تجعلني بشكل مستمر متوتراً ومتابعاً للطريق بحذر محاولاً اكتشاف أنَّ كان السائق أطال من الطريق أم لا لكن في الرحلات التي أمارس فيها هوايتي هذه لا أهتم بالطريق، بل أتمنى أن يطول حتى ينتهي حديثي دون أن ينقطع في منتصفه عند وصولي كما حدث لي أكثر من مرة.

أنزل من السيارة وأنا راضٍ تماماً عن نفسي وعن وظيفتي هذه المرة.

أدرك تماماً أن البعض سيظن أن هذا الموقف مرضياً أو حتى مثيرٌ للشفقة لكن سأقول صراحةً أن هذه التكسي وهذا السائق هما ملجأي الوحيد لأكون ما عجزت عن تحقيقه في حياتي فالسائق لا يعرف أي شيء عني ولا يستطيع التأكد من صحة أقوالي وأصلاً هو ليس مهتم بذلك فأنا ضيفه لمرة واحدة فقط.

أتذكر لعبةً كان يلعبها الصغار فيتقمصون أدواراً وشخصيات، فيكونوا أطباء يعالجون المرضى أو معلمات في مدرسة يعلمون التلاميذ ويعاقبوهم أو أمهات يربون أطفالهم أو قادة حربيين. ربما لأني كنت أشعر بالإحراج من لعب هذه اللعبة في طفولتي أصبحت ما أنا عليه الآن.

هنا، كنت ذات مرة مدير إقليمي في شركة ضخمة وشكوت مطولاً من ضغط العمل والسفر وكنت رساماً أتساءل عن سبب عدم اهتمام الناس بشكل عام بالفنون وكنت ممثلاً أتيت إلى إسطنبول لتصوير مشاهد في فلم أشارك فيه وأعطيت السائق يومها درساً مطولاً في أجمل جزء في جسد نساء كل عرق على حدى معتمداً على خبرتي الطويلة في النساء - بسبب نجوميتي كممثل - فليونانيات حوض مغري وللفرنسيات شفتان دقيقتان جميلتان وللعربيات فخذان أبيضان مستديران كأنهما مصنوعان من العاج، وأذكر يومها أن السائق كان ينظر إلي باهتمام بالغ ويؤكد على ما أقوله فهو أيضاً له خبرته في النساء كما أكد لي.

لم تكن كذباتي البيضاء في تكاسي إسطنبول تتعلق فقط بمهنتي، بل تعدتها إلى جوانب أخرى، فهنا أستطيع قول ما أريد دون خوف أو حرج من أحد وخصوصاً فيما يتعلق بما يجري في سوريا فالسائق لا يستطيع إلا تأييد كلامي فأنا الرجل الأجنبي الذي سيدفع الأجرة في نهاية الطريق وسيترك بخشيشاً أن كان راضياً عن السائق.

هنا أستطيع القول بكل جرأة أنني أحن لأيام المظاهرات السلمية وأني لا أحب الإسلام السياسي وأخاف من السلفيين وأريد سوريا دولة علمانية، هنا أقول أن "الجيش الحر" أخطأ ويخطئ وسيخطئ وأن للثورة أيضاً خطابها الطائفي أحياناً وأقول وأقول وأقول ولا يملك السائق من خيار سوى الاستماع إلي وإبداء الاهتمام بحديثي والاتفاق جملة وتفصيلاً مع تحليلاتي وهواجسي وأحلامي.

لم يكن خجلي من كلماتي السابقة أمام السائق من مواليي النظام - الذين انقطع التواصل فيما بيننا منذ الأيام الأولى للثورة - بل من معارضيه وبالذات ممن اختلفت معهم في كثير من مفاصل الثورة حول مواضيع مثل الكفاح المسلح والخطاب الإسلامي المتزايد وتبريري للطائفية من طرف الثورة ما إلى ذلك من التفاصيل، فأنا لا أرى جدوى من خيار السلمية في مواجهة النظام السوري وأرى في ازدياد الخطاب الإسلامي والخطاب الطائفي من جانب الثوار رد فعل طبيعي على جرائم الجيش والأمن والشبيحة لكن هذا لا يمنع بالطبع أن أجري حديثي السابق مع السائق لكن يمنعني كبريائي من الاعتراف بذلك أمام الجميع.

أفكر بنهاية لمقالتي هذه ولا أجد، فهل أقول أنني أتعهد بالتفكير بصوت عال من الآن فصاعداً؟، هل أقول سأتجرأ على قول ما أريد دون خوف أو خجل؟ هل أقول سأحرص على أن يلعب أطفالي تلك اللعبة اللعينة؟ لا أدري، لكن كل تلك الوعود والعهود هي مؤجلة حالياً، فلا جرأة لدي ولا أطفال وسأقنع نفسي أن اعترافي المكتوب هذا خطوة أولى على طريق الحل، وإلى ذلك الحين، سأستمر بهوايتي هذه، وستبقى سراً بيني وبين سائقي تكاسي إسطنبول النبلاء قليلي الكلام جيدي الاستماع وبين قراء مقالتي هذه.

عمل للفنان محمد سيدا

إدوارد سعيد: خارج المكان

■ ياسر مرزوق

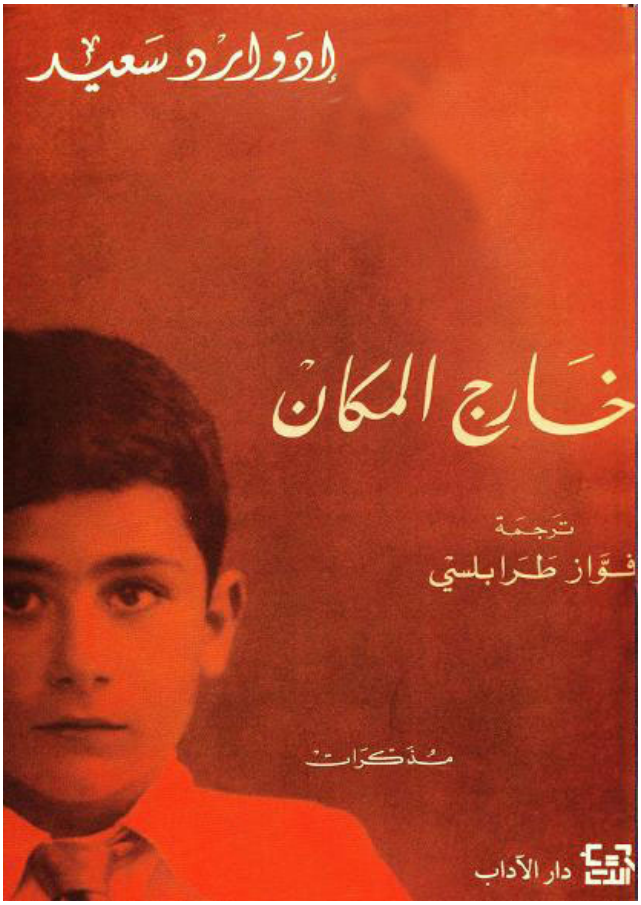

كتابنا اليوم قصة استثنائية عن المنفى وسرد لارتحالات عديدة واحتفال بماض لن يستعاد، ففي عام 1990 تلقى ادوارد سعيد تشخيصاً طبياً مبرماً أقنعه بضرورة أن يخلف سجلاً عن المكان الذي ولد وأمضى طفولته فيه، في هذه المذكرات يعيد ادوارد سعيد اكتشاف المشهد العربي لسنواته الأولى، أماكن عديدة زالت، وأشخاص عديدون لم يعودوا على قيد الحياة، باختصار أنه أساساً عالم قد اندثر، فقد طرأت على ذلك المشهد تحولات عديدة إذ تحولت فلسطين إلى إسرائيل، وانقلب لبنان رأساً على عقب بعد عشرين سنة من الحروب الأهلية، وزالت مصر الملك فاروق الكولونيالية إلى غير عودة عام 1952.

يحيي هذا الكتاب عالماً يصعب تخيله من الشخصيات الغنية الجذابة، أنه نص غنائي وجميل الصنعة، يبلغ أحياناً درجات عالية من الصراحة بقدر ما هو، في الآن ذاته حميم ومرح، ويكشف ادوارد سعيد فيه دقائق ماضيه الشخصي، ويستعرض لنا الأفراد الذين كونوا شخصيته ومكنوه من أن ينتصر ليصبح واحداً من أبرز مثقفي عصرنا.

يخبرنا سعيد عن تجربته مع كتابة المذكرات باللغة الانكليزية قائلاً: " ساورني شعور عظيم بالارتياب عندما أقدمت على تأليف هذا الكتاب عن حياتي المبكرة وقد عشتها في معظمها في القدس والقاهرة وضهور الشوير، إذ أدركت أنني مقدم على عمل متناقض جذرياً، هو إعادة بناء عالم في مصطلحات عالم آخر، كان لي أن استخدم اللغة الانكليزية، ولكن كان علي أن استذكر التجارب وأعبر عنها بالعربية، طبعاً كان من العبث إنكار التغاير والتباعد بين هذين العالمين، ولكن لا يعقل أن يكونا منفصلين وحدهما عن الآخر، كأنما نتيجة لعملية بتر جراحية، ما داما قد تعايشا سنوات وسنوات داخل شخص واحد، الأحرى أنهما كانا جسمين متوازيين، بل توأمين، يتحسس واحدهما إيديولوجياً وروحانياً، كل عنصر غريب يتعذر استيعابه عند الآخر وينفعل إزاءه، لقد اختبرت دائماً ذلك الشعور بالغربة المزدوجة، فلا أن تمكنت كلياً من السيطرة على حياتي العربية في اللغة الانكليزية، ولا أنا حققت كلياً في العربية ما قد توصلت إلى تحقيقه في الانكليزية، هكذا طغى على كتاباتي كم من الانزياحات والتغايرات والضياع والتشوه، ولكني كنت مدركاً في الأقل لكل ذلك وقد حاولت استظهاره في مؤلفاتي فالذي عشته صبياً في البيت مع شقيقاتي وأهلي، مثلاً، اختلف كلياً عما قرأته وتعلمته في المدرسة، تلك الانزلاقات والانزياحات هي قوام هذا الكتاب، وهي السبب الذي يحدوني إلى القول أن هويتي ذاتها تتكون من تيارات وحركات لا من عناصر ثابتة جامدة ".

يضيف سعيد بأن بعض ما ورد في كتابه لا يسر به المرء إلا لطبيبه النفسي، وأن الكتابة الصريحة عن الذات نادرة في تراثنا.

يتمحور الكتاب عن علاقة سعيد بأسرته وأمه خاصة، وعن العلامات الفارقة المؤثرة في حياته على الصعيد العام، والتي يوجزها بالهزيمة العربية عام 1948 وانبثاق الحركة الفلسطينية، وانتقاله بين الحواضر العربية، التي عندما قرر العودة إليها بعد عام 1967، وجدها غريبة عن عالم طفولته، تلك الطفولة التي دمرتها النكبة الفلسطينية، والثورة المصرية والاضطرابات الأهلية اللبنانية التي بدأت عام 1958.

تجدر الإشارة إلى أن من تحمل عبأ تعريب كتابنا اليوم الكبير فواز طرابلسي الذي يخبرنا عن تجربته قائلاً: " لا تحتاج الترجمة إلى تقديم، إما أن تنجح في أن تقرأك النص المترجم وكأنه مكتوب في اللغة المترجم إليها، وإما أن لا تنجح والباقي أعذار، أريد فيما يلي تسجيل ملاحظة عن مستوحاة من ممارستها منذ أن كنت على مقاعد الدراسة الجامعية، إلى أن واجهت تحدي تعريب هذا الكتاب، وتخلل ذلك فترة انقطاع خلال الحرب.

درج القول أن الترجمة فعل خيانة ينطوي هذا الاستشهاد المتكرر بالمثل الايطالي المشهور على مقدار كبير من الاستكانة والتبرير، فالأحرى أن عملية الترجمة عملية صراعية بامتياز، يجري خلالها تطويع لغة لكي تحمل معاني وتراكيب دول أخرى، وتتوسل عملية التطويع هذه مجموعة واسعة من الحيل على اللغة لكي تؤدي معاني وتراكيب واستعارات وأقوال مأثورة ومناخات ليست لها ولا هي منها، ناهيك عن الحيل المطلوبة لتأدية لغة الكاتب المخصوصة، ومن هنا فإن الترجمة علم من علوم الحيل أكثر مما هي فعل خيانة..

هذا النص بالعربية سجل لعمليات تحايل عديدة كانت المعركة مع انكليزية ادوارد سعيد عسيرة متطلبة لأدق دقائق المعاني والأحاسيس والمشاعر والأفكار والأوصاف، فأسلوب سعيد ممتنع، وقد جهدت لجعله سهلاً ممتنعاً، أحياناً كنت أتغلب عليه، وأحياناً أخرى اعترف بأنه تغلب علي، ومع ذلك انصب كل جهدي عل جعل ادوارد يتكلم العربية ".

إلى جانب اللغة كانت الجغرافيا حاضرة بين طيات الكتاب خصوصاً جغرافيا الارتحال من مغادرة ووصول وداع ومنفى وشوق وحنين إلى الوطن وانتماء ناهيك عن السفر ذاته، فكل واحد من الأمكنة التي عاش فيها سعيد " القدس والقاهرة ولبنان والولايات المتحدة "، يملك شبكة كثيفة ومعقدة من العناصر الجاذب، التي شكلت جزءاً عضوياً من نمو الكاتب وهويته وتكوين وعيه لذاته وللآخرين، وفي جميع تلك الأمكنة، احتلت المدارس مكاناً مميزاً في قصته، كونها صور مصغرة عن المدن والبلدات التي عاشها.

وعن نشأته يخبرنا سعيد بلغة بالغة الشفافية: " تخترع جميع العائلات آباءها وأبناءها وتمنح كل واحدٍ منهم قصةً وشخصية ومصيراً بل إنها تمنحه لغته الخاصة، وقد وقع خطأ في الطريقة التي تم بها اختراعي وتركيبي في عالم والدي وشقيقاتي الأربع، فخلال القسط الأوفر من حياتي المبكرة، لم استطع أن أتبين ما إذا كان ذلك ناجماً عن خطأي المستمر في تمثيل دوري أو عن عطب كبير في كياني ذاته، وقد تصرفت أحياناً اتجاه الأمر بمعاندة وفخر، وأحياناً أخرى وجدت نفسي كائناً يكاد أن يكون عديم الشخصية وخجولاً ومتردداً وفاقداً للإرادة. غير أن الغالب كان شعوري الدائم أني في غير مكاني ".

في الفصل الأخير يتحدث بشيء من الحسرة عن القاهرة المدينة الوحيدة التي شكلت لسعيد بيتاً ووطناً، وعن منعه من دخولها طيلة خمس عشر عاماً، لخرقه قانون التعامل بالعملة الصعبة.

"هكذا بدا عالم القاهرة ينغلق علينا مهدداً، بل بدأ يتفكك فيما الهجوم الناصري يزحف على قدم وساق مطاولاً لا الطبقات الميسورة وحدها، وإنمّا أيضاً المنشقين اليساريين من أمثال فريد حداد، في سنتي الثانية من الدراسات العليا (1958 - 1959) كنت قد أدركت إثر موت فريد ومحاكمة جورج فاهوم بتهمة " الفساد التجاري " أن أيامنا كمقيمين أجانب في القاهرة قد أشرفت أخيراً على نهايتها، ساد جو ثقيل من التوجس والإحباط حلقة أصدقاء أبي، ومعظمهم أعد الترتيبات للمغادرة، وسافر معظمهم فعلاً إلى لبنان أو أوروبا ".

ادوارد سعيد: من مواليد القدس، وهو بروفسور شرف في اللغة الانكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في نيويورك،؟ألف زهاء العشرين كتاباً منها الاستشراق، وصور المثقف، والثقافة والامبريالية.

حلم سوري

■ مثنى مهيدي

كيف كان الحلم السوري بعد الاستقلال؟ سؤال أبحث عن جوابه دائما في سيرة الآباء المؤسسين..

لأتذوق طعم حلم خمسينات وستينات القرن الماضي، زمن البراءة والارتجال الوطني للأحزاب السورية التي أسسها وقادها المثقفون قبل أن ينقلها أكرم الحوراني إلى يد ضباط الجيش أواخر الخمسينات حتى بداية التسعينات حيث انتقل الحلم ليصبح برعاية الشركات والمؤسسات الاقتصادية.. ومن دون تشكيك، فقد جهد الجميع في أن يصنعوا الوطن الحلم: البعثيون والقوميون السوريون والشيوعيون والإسلاميون والمستقلون، حيث عمل كل طرف منهم آنذاك في إبعاد الطرف الآخر المناقض له، وهكذا انشغل الجميع عن الحلم في الطريق إليه، حيث صار فيهم وبالوطن مثلما حصل مع قيس بن الملوّح عندما ركض في الحي وصار يصيح: ليلى ليلى.. فقال القوم: لقد جُنَّ الفتى، إئتو له بليلى لعله يشفى.. ولما حضرت ليلى نظر قيس إليها وقال: اذهبي عني، فقد شغلني حبك عنك..

في تلك الفترة نلاحظ أن المثقف السوري لم يكن أقل ذكاء ومعرفة من المثقف الغربي ولم يكن حلمه أدنى، غير أننا لم نصبح كأميركا أو فرنسا أو حتى اليابان.. فلماذا؟!

قد يكون لدي جواب مثلما لكل سوري جوابه حول سؤال: لماذا تقدم الغرب ولماذا توقفنا، غير أن أجوبتنا جميعا ستبقى جزئية وناقصة، لأن كل واحد منا محبوس داخل فكرته الخاصة ليوتوبيا الوطن الذي يرغب فيه.. وما أريده أنا قد لا يوافق عليه خالي البعثي ولن يرضى به ابنه الالكتروني، كما أن جمهورية الرجال الفاضلة لن تتفق مع تصور النساء عنها، والتجار لن يوافقوا على جمهورية العمال والفلاحين، والإسلاميون سيرفضون بالتأكيد جمهورية العلمانيين.. لهذا أقترح التوقف عن طرح أجوبتنا وفرضها على غيرنا لأن شكل الحلم السوري سيتغير بحسب تعداد سكان سوريا الحالمين، وأقترح أن يعمل واحدنا أولا على فتح أقفاله وأبوابه على الآخرين، ووقتها سيتحرر كل امرئ من حبسه الخاص وشرنقته المتمحورة حول فكرته عن الوطن وسيدلف إلى حجرات الآخرين: الأفراد والطوائف والقوميات والأحزاب والطبقات والمحافظين والحداثويين، ليبدأ الحوار الوطني بين مواطنين أحرار بلا أقفال..

في يوم 17 / 4 / 1946 (يوم الجلاء) كتب صدقي إسماعيل إلى صديقه يقول: أن الأمة العربية بدأت تتحرك، وأن حركتها ستكون كالسيل الجارف، وكالصاعقة.. ليس الآن.. ربما بعد مئة سنة، ولكنها ستتحرك وتسيطر.. تعلم ولا شك أن كثيرين يحاولون استغلال الجلاء، وأن بؤس هذا الشعب قد يزيد، ولكن الذي يجب أن يغمرنا بالفرح، هو أنه سيتحمل مسؤوليته بعد اليوم، وأن وجود الشباب المخلصين المتحمسين أصبح له قيمة في هذه البلاد، ليخلصوا أمتهم من عار الأجيال السابقة، أن كان هناك شباب مخلصون.

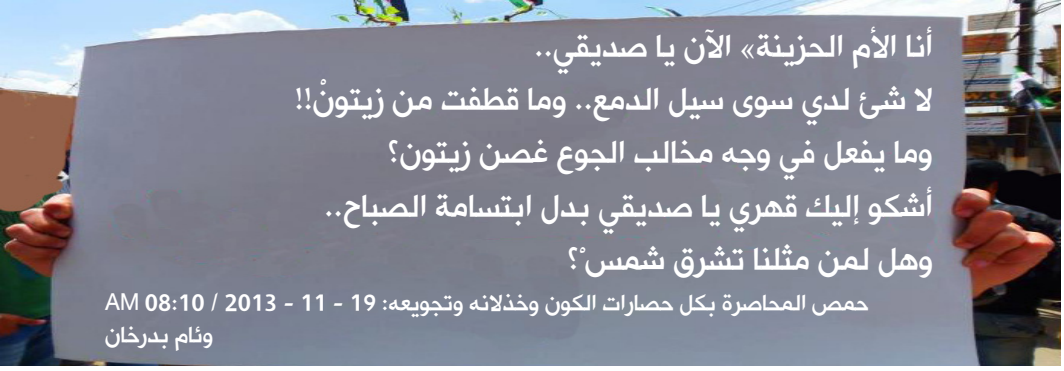

نور دكرلي

أخي الكبير ترك هويته في بيتنا قبل أن ننزح منه وبقي بلا هوية.. أختي أضاعت هويتها عندما كانت في مخيم الزعتري منذ سنة تقريباً.. أخي المراهق قام بكسر هويته متحمساً عندما صاح جارنا أبو كاعود (حرية.. حرية).. وندم بعد خمس ثوان، وما زال إلى الآن كلما تذكر هويته يردد: يلعن أبوك يا أبو كاعود.. أنا أضعت هويتي في بيروت مع محفظة نقودي.. (حزنت على النقود)..
منذ فترة اتصلت بأختي واقترحت عليهم بأن نصنع هويات لنا، فقمنا بإحضار قطعة كرتون صغيرة لكل منا وبدأنا بتعبئتها.. كانت فرصة لي لأتخلص من اسمي الذي رافقني طيلة سنوات عمري، فاخترت اسماً جديداً.. أما أختي فقالت لنا: أريد أن أكون من مدينة أخرى فقد مللت من سماع النكات التي تسخر منا.. فقامت بتدوين مدينة مختلفة.. أخي الكبير قام بتغيير تاريخ ميلاده ليصبح أصغر بعشر سنوات.. أخي المراهق وضع صورة لشاب أشقر بدلاً من صورته.. عندما التقينا لم نتعرف على بعضنا البعض..

صهيب زهران

إثم جريمة قتل شارب الخمر أكبر من إثم شرب الخمر.. وعقاب قاتل شارب الخمر أكبر من عقاب شارب الخمر.. وقاتل شارب الخمر يستوي في وصف القاتل مع بشار الأسد ولواء أبي الفضل العباس وحزب الشيطان.. ومن قتل شارب الخمر فقد كفر بعدل الله وحكمته وأمن بما سولت له نفسه.. ومن قتل شارب الخمر فقد تجرأ على دم حرمه الله.. وسيقف شارب الخمر هو وزوجته وأولاده يوم الحساب ليمسكوا برقبته ويلقوه في جهنم وبئس المصير..

منال إسماعيل

- البلد ما فيها طائفية.. بدليل إني أنا من طائفة وحبيبي من طائفة تانية.. ورح نتجوز قريباً.
- واو ريتو ألف مبروك.. كتير حلو.. وويين تعرفتوا على بعض؟
- بسوق السنّة.

سماح هدايا

هؤلاء الذين عجنتهم أطماعهم الشخصية ومرضهم النرجسي وأنانيتهم وغرورهم وتسلقوا على الثورة ليهرسوها بجشعهم، كائنات مريضة وطفيلية، بدأت تفوح جداً رائحتهم الكريهة، رغم كل ما يتعطرون به من كلام الثورة وشعارات محبة الوطن.. هؤلاء لا مكان لهم في الفجر.. لأنهم سيظلون عبيداً لتصاغرهم ومكاسبهم الدنيا..

ندى صبح

من غرائب هذا العالم أن من يصنع الدفء للشرق المتجلّد، هم القابعون في مخيمات اللجوء.. المرتجفون في المعتقلات الباردة.. يا للتاريخ الذي يكتبه السوريون فداءً لحلم وشمس..

حسين خليفة

في آخر طريق الزاهرة مقابل كراج درعا انتصبت خيم من بقايا أكياس السكر والطحين والملابس العتيقة.. أظن أنها للأخوة النوَر الذين نزحوا أيضاً من القدم والحجر الأسود بعد التحرير والتطهير المتكرر (وهم في نزوح دائم).. ما يلفت النظر الاستغلال المنظم لمساحة الحديقة التي (شيد) المخيم عليها.. ما يلفت النظر أكثر فزاعة وضعت على أحد الخيم..
كل يوم أمرّ من أمام المخيم قاصداً عملي أتساءل: لمن أو لماذا وضع الأخوة النوريون هذه الفزاعة.. حيث لا حقل ولا عصافير ولا أحلام؟؟..
أخمن، وبعض التخمين ليس إثماً.. إنها فزاعة لطرد الأمل.. ما تبقى من أمل.. أو ربما لإشغال قناص محتمل.. بلاد من خيام شاسعة.. بلاد من أحلام يقف لها القناصون بالمرصاد..

دار العبد الله

مُرور سَريع على الصفحات المؤيِّدة للنظام السوري، لا يُلاحَظ فقط غيابُ مَفاهيم مثل "الدولة" أو "الوطن" أو"السيادة"، بل انخفاض وانحدار في مستوى رمزيَّة بشار الأسد، مُقابل ارتفاع القيمة المعنويَّة والرمزيَّة لشخصيَّات تاريخيَّة مثل الإمام علي وأبو الفضل العباس والحسين وعمار بن ياسر وزينب.. ، ركاكة الطبيب لم تعد مُقنعة للقتال والتضحية والتعبئة.

إياد شربجي

بيقربك فؤاد شربجي؟
بشكل مباشر لا، بس كعيلة بيجوز
على كلن الله لا يوفقك ولا يوفقو
له ليش هيك عمتقول.؟!
لإنو بسبب أمثالكن خربت البلد
بس يا حبيبي أنا معارض وفؤاد مؤيد
عن جد الدكتور فؤاد مؤيد؟
إي والله
أصبح الله لا يوفقك لحالك

ياسر نديم سعيد

أول جناية ارتكبها النظام الأسدي بالثورة هي عدم السماح لوسائل الإعلام بالعمل بحرية داخل سوريا.. هاي لحالها كافية للاستدلال على رغبته في الشروع بارتكاب كل الجنايات الأخرى الممكنة أو التي لا يمكن تصورها..

غياث الماغوط

البوست ما بيدفي.. اللي بدو يتضامن مع اللاجئين يشلح جاكيتو ويبعتها الهن..

صلاح النقشبندي

حسن نصر الله.. كر.. و.. بلاء!

ميادة مصطفى كيالي

هل سيصمد براء الأبيض في الثلج أمام سواد اللعنات من بردٍ قاسي يجمد الدماء في الأصابع الصغيرة المطلة من شقوق الحذاء المهترئ والممتلئ بالألم.. يا شعوب العالم أغيثوا أبناء سوريا.. يا من ترفلون بالدفء وتملؤون من الثياب وتجهزون للسفر والمتعة.. هناك في لبنان آلاف اللاجئين وفي الأردن حيث البرد لا يرحم.. والجوع لا يرحم.. تطوعت صديقتي للتعليم في مدرسة في بيروت تأوي 70 طفلاً سورياً لتعليمهم على الأقل ريثما يجدون لهم مكان في المدارس الرسمية.. اشترت لهم الأحذية.. عاد إليها طفل قال لها.. أمي تقول هل ممكن أن استبدل الحذاء بجزمة لان المياه تملأ كل مكان في الغرفة التي نعيش فيها..!! اشترت الثياب.. لكنها عادت تبكي فالأجساد المتدافئة لا يكفيها العدد.. ماذا تفعل.. هل تختار؟.. بالله عليكم وكيف تختار وكلها أجساد صغيرة ترتجف تحت البرد.. اشترت لهم أقلاما ودفاتر.. قالت لهم اكتبوا اسم بلد فيها حرف الشين.. عرفت.. أجابت طفلة!!.. وقالت دمشق..
وسأل آخرون أين تقع دمشق..؟.. هل تسمعون أيها الذاهبون إلى جنيف 2.. الأولاد لا يعرفون شيئاً عن دمشق.. ولا عن أي شيء فالتنوير والنهضة لم تخرج أبعد من حارات دمشق الهاي كلاس..!!! معكم حق أن لا تعرفوا دمشق فهناك من سكان دمشق الكبار الصامتون المتأففون من هذا الوضع لا يعرفون عنكم شيئاً وعن وجودكم على الخريطة..
سبعون طفلاً في مدرسة متداعية تجمعوا في ثلاث صفوف.. هم محظوظون فالكثيرون في الشوارع.. ما ذنب الطفولة.. وأين من أقسم على حمايتها.. وحماية أمنها.. وأين الضمير.. وأين الرحمة.. وأين التقرب من الله وأحباب الله على الأرض يموت في قلوبهم كل أشكال الفرح

صوفيا مشهدي

27 سنة سجن عند نظام (الفصل العنصري) ولا يقولوا يوم واحد (بالجوية) يا خديجة..
من أقوال المرحوم نيلسون مانديلا..

خلي راسي ينطمر بالتراب وأنا ميت ولا أطمروا أنا بالرمل وأنا عايش.. إبراهيم استشهد ظلم.. والظلم ظلمات.. والساكت عن الحق شيطان اخرس، اللي قتلوا إبراهيم هني الشياطين، واللي سكتوا عن مقتل إبراهيم هني الشياطين الخرس، إبراهيم كان مدمن كحول وكل سراقب بتعرف وما كان مخبيها عن حدا أصلا.. وكان بحالو.. لا سمعنا إنو قتل حدا ولا سرق من حدا ولا ضر حدا..
إبراهيم ما لازم ينقتل لأنو بيشرب.. ما بعرف بالضبط شو عقابو بس المهم ما سمعنا عن إنو القتل هو عقاب اللي بيشرب.. ولا حدا يكذب ويقول في تهمة تانية ما في ولا تهمة تانية على إبراهيم..
كل سراقب بتعرف إبراهيم كل سراقب بتحب إبراهيم، إبراهيم كان يطلع بالمظاهرات وما فارق خيمة الاعتصام.. حتى معمل الزيت لما رمى معتقلين ما عم يقدروا يمشوا من التعذيب كان إبراهيم ضمن اللي راحوا وخاطروا تحت القناص ليجيبوهون عالمشفى.. وكان واحد من خمس أشخاص مو أكتر اللي خاطروا.. بيناتون حاف الله يرحمو..
إبراهيم ما في شريعة بالكون بتقول إنو لازم ينقتل.. اللي قتلوا إبراهيم فكروا إنو مالو حدا يسأل عليه وفكروا إنو الناس ما رح تسترجي تسأل عليه، وفكروا إنو الناس رح تنحرج من إبراهيم لأنو بيشرب أو أو.. إبراهيم عندو ولاد سكروا البراكية من شوي قدامي وراحوا يشوفوا جثة أبوهون وأمون سايحة بالشوارع وعم تصرخ قدام المشفى.. خسيتوا.. كلنا بدنا نسأل على إبراهيم وما بنسكت على الظلم لو بدها تروح رواحنا بالغدر.. إبراهيم إنسان بيعطيك اللي بجيبو وبيبكي عليك.. إبراهيم إنسان، إبراهيم حر.. والأحرار ما بينتسى دمون، وبنذكر بعض.. مو نحنا اللي بنخاف من الحق.. مو نحنا اللي بنغمض عيوننا عم موت إخوتنا وجيراننا.. مافي حدا منا ما إلو حدا.. كلنا إلنا بعض وكلنا لبعض وبنذكر بعض..

أسعد كنجو

في غمرة حماس البعض أو الكثرة للجماعات المسلحة يجدر بنا أن لا ننسى:
- أن المتظاهرين السلميين هم الذين أطلقوا الثورة السورية، وبثوا روح الحرية في قلوب شعبهم.. هؤلاء الشجعان حقا واجهوا الرصاص وهراوات الشبيحة بدون أي سلاح..
- أن أكثر من مئة ألف شهيد وأضعافهم من السوريين عانوا ويعانون في المعتقلات وهؤلاء لم يكونوا من حملة السلاح.. وهم أيضا دفعوا ثمنا باهظا من اجل الثورة..
- أن ملايين السوريين الذين فقدوا عالمهم، وضمنه بيوتهم وممتلكاتهم ومصدر عيشهم بسبب طلبهم للحرية والكرامة ومساندتهم أو تعاطفهم مع الثورة لم يحملوا السلاح.. جزءا كبيرا من هؤلاء يعانون اليوم من البرد والجوع وافتقاد لقمة الخبز، والحرمان من الوطن ومن الأهل والأحبة، بسبب مساندتهم وتعاطفهم مع الثورة وطلبهم على الحرية..
- أن الجماعات المسلحة، مع التقدير للمخلصين والمناضلين فيها، ليست خارج المساءلة، ولا يجوز إضفاء القدسية على مواقفها وأعمالها، فهذه أيضا من أعمال البشر وتخضع للمساءلة والتقييم والنقد، ولحسابات الكلفة والمردود، لاسيما أن كثير من المواقف تجاوزت وصادرت على مستقبل الشعب السوري، وأضرت بصورة الثورة وأثارت المخاوف منها في الداخل والخارج، كما أن كثير من الأعمال وضمنها فتح جبهات أو معارك بطريقة غير محسوبة، والانسحاب من هذه المنطقة أو تلك، بشكل مزاجي، والسيطرة على أحياء مدنية بدون تدبر أمرها أو أمر الدفاع عنها يعتبر من المآخذ عليها..
القصد أنه لا يملك طرف مهما كان، ومهما كان، التقرير بمستقبل سوريا، لأن من يعتقد ذلك يهدد وحدة شعب سوريا، ووحدة أرض سوريا.. سوريا لكل السوريين..

ماجد كيالي

المسافر الصغير

«العالـم مليء بهم أولئك الأشـرار، وبنا نحن الأخيار أيضـا. لذا علينا أن نعمـل من الخير الكثيـر قبل أن نغادر هـذا العالم كي يمسـي مليئا بنا أكثر منهـم». كانت تلك رسـالة جدٍّ هذا الصبي والتي خطّهـا له قبل رحيله والذي كان بدوره يقرؤها للمسـافر. ثم أردف قائلا: أمّـا أنا فقد اخترت لنفسـي عملاً حسـناً أقوم به في كل يوم. فسأله المسافر: وماذا يكون؟ فأجابه الصبي: بأن أعيد على مسـامع الكبـار حديثاً كان قد جرى في الماضـي ويذكر فيه الطيب من أعمالهم. فدُهش المسـافر وقال: وكيف لكَ أن تفعل ذلك؟ فردّ الصبي: لا أعلـم لكنّـي فعلت ذلك للتّوْ. ثم تحـوّل الصبي نـوراً واختفى عن أنظار المسـافر الذي تعجب عجباً كثيراً فقد أدرك بأنه ذات الصبي حين كان صغيراً. ثـم مضى فـي ترحاله يعيد على مسـامع مـن يلتقيهم أحاديـث الطَيِّب من أعمالهم كما كان يفعل في كل يومٍ بعد أن رحل جدُّه.

سوريا / ريف حلب / 2012

نصوص وتصوير: باسل حسو دقق النص: سيما نصّار

كاريكاتير العدد | الفنان عبد المهيمن بدوي

شيفرة طفل

محمد العاقل - دمشق

اعتادت مجموعة من الشباب الناشطين الارتياد لمراكز الإيواء حيث يقومون ببعض النشاطات مع الأطفال بغية تقديم ما أمكن من دعم نفسي لهم، ومن تلك النشاطات «الرسم» حيث يقوم الأطفال برسم أي شيئ يخطر ببالهم والغاية منها نوع من السماح للأطفال بالتعبير عن مكنونهم ومراقبة حالتهم النفسية، وفي أحد المراكز تميز فتاً صغير برسوماته التي استطاعت من المرة الأولى أن تبهر الشباب وتلفت انتباههم، فلم تكن موهبة الفتى بالرسم هي الشيئ الوحيد المميز برسوماته، بل أيضا القصص الكثيرة التي كان يرويها من خلالها، وعلى الرغم من بساطة الرسوم إلا أن هذا الفتى بالتحديد تحول من طفل تحت رعاية هؤلاء الشباب إلى راوي يحكي لهم في كل مرة حكاية جديدة، وتنوعت حكاياه، إلا أنها دائما كانت تختزن في داخلها معاناة، وعلى الرغم من قدرة ذلك الفتى على إخفائها بابتسامة لطيفة على وجهه إلا أنها ظهرت في رسوماته.

يوماً بعد يوم ورسمة بعد أخرى استحوذ هذا الفتى على اهتمام أكبر من المجموعة وأضحت رسوماته جزءً مِن حياتهم، تأثروا كثيراً بها واستطاعوا من خلالها معرفة بعض الحقائق التي كانت تحدث في المنطقة التي أتى منها الفتى، حقائق لم يتجرأ الأهل على ذكرها ولم تظهر في التلفاز بالمصداقية والدقة التي كانت تحكيها رسوماته، وطبعاً لم تتمكن المجموعة من عرض تلك الرسومات على الرغم من حيادية الفتى في رسوماته فلم ينتقد طرفاً محدداً بل كانت كل رسمة تتحدث عن طرف مختلف، وبعض الرسومات لم تتحدث حتى عن أي طرف بل فقط رسم فيها الموت والخراب الذي شاهده بعينيه، ولكن حتى تلك الرسومات كانت غير قابلة للعرض خوفاً من أن يتم استغلالها واستغلال ذلك الطفل الذي لم يتحيز لأي طرف ولا يدرك حتى من هي الأطراف المتنازعة.

شعر الفتى باهتمام المجموعة برسوماته مما عزز بداخله ثقة بنفسه، وبدأت رسوماته تتطور لدرجة أنه بدأ يرسم المشاكل التي تحدث في مركز الإيواء والتي لا يجرأ على ذكرها مباشرة، وكأنه بدأ يدرك أنه يستطيع إرسال رسائل لا يمكنه ذكرها بشكل مباشر للمجموعة إلا من خلال رسوماته.

مرت فترة زمنية كافية ليحين موعد الانتقال لمركز إيواء آخر، هذا ما كان مخطط له منذ البداية بالنسبة للمجموعة، ولكن وفي داخل كل واحد منهم استطاع ذلك الفتى أن ينقش رسمة لن تمحى بسهولة، وقبل أن تنتقل المجموعة لمركز آخر - حسب الخطة الموضوعة - قاموا بإهداء ذلك الطفل مجموعة تلوين ودفاتر رسم وطلبوا منه إلا يتوقف عن الرسم، ومضى الكثير من الوقت، إلا أن قررت المجموعة العودة، لزيارة ذلك المركز، والسبب الرئيسي الذي دفعهم للذهاب هو موجة البرد الشديدة التي تتعرض لها المنطقة ولذلك قرروا تفقد أحوال أغلب المراكز، وخلال الجدول الذي وضعوه لزيارة المراكز كان يوم زيارة ذلك المركز قد سبقه عدة أيام من الثلوج، توجهوا إلى هناك وكانت أغلب أفكارهم حول ذلك الفتى، وتوقعوا أن يجدوه سعيداً يلعب بالثلج مع باقي الأطفال، ولكن لم يكن كذلك.

في كل عام وفي مثل هذا الوقت والطقس اعتاد هذا الفتى على أن يكون في قمة السعادة، ولكن ليس هذه المرة، الثلج الذي تسبب، بالفرحة للكثير من السوريين كباراً وصغاراً، كان كارثة بالنسبة لسوريين آخرين، كارثة لسكان الخيم الذين لم يعد لديهم منزل، والذين نزحوا ولجؤوا، وكذلك الأمر لذلك الفتى الذي لم يعاني بشكل مباشر من الثلج، إلا أنه عانى من ذكريات منزله ومن عدم قدرته على اللعب كالعادة لأنه خسر ملابسه الشتوية مع منزله، بل أضطر للاختباء تحت الغطاء من شدة البرد، فلا توجد وسيلة أخرى للتدفئة، وأكثر ما عاناه هو سماع أصوات أولاد آخرين يلعبون بالقرب من المركز، وسيلته للتفريغ كانت الرسم، ومن خلال ما رسمه استطاع الفريق معرفة كل تلك التفاصيل التي تم ذكرها حيث أنه لم ينطق لهم بكلمة حول ذلك الموضوع، فقط قام برسم تلك الرسالة، على الرغم من عدم علمه بأنهم سيأتون، ولكنه رسم رسالة وأفرغ بداخلها الكثير من مكنونه ووضعها مع باقي الرسومات لتشكل معاً كتاب يروي الكثير والكثير مما تغفل عنه الكميرات والشاشات، فكل ما في هذا الكتاب هو مصداقية وحيادية ووصف بسيط لأناس سوريين ولكن للأسف فلا دور لهم ليلعبوه في مسرحية السياسة العالمية والصراع الداخلي المسلح المفروض عليهم، أو لربما دورهم هو أن يكونوا هنا.

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (78581)

دمشق: 5951
ريف دمشق: 19339
حمص: 11740
درعا: 7216
إدلب: 9124
حلب: 13517
دير الزور: 4905
الرقة: 1012
السويداء: 59
حماة: 5574
اللاذقية: 889
طرطوس: 330
الحسكة: 588
القنيطرة: 523

6298 عدد الأطفال الذكور
2841 عدد الأطفال الإناث
5956 عدد الإناث
21204 عدد العسكريين
60093 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 14 / 12 / 2013
http://www.vdc-sy.info/

تمت طباعة وتوزيع هذا العدد من قبل مطبعة سمارت ضمن مشروع دعم الإعلام السوري الحر